في ضيافة أجاثا

رواية

صفاء حسين العجماوي

دار روافد

دار حروف منثورة للنشر الإليكترونى

نوع العمل: رواية

اسم العمل: في ضيافة أجاثا

اسم المؤلف: صفاء حسين العجماوي

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الأولى ستمبر ٢٠٢٠

تصميم الغلاف : فريق الدار

تنسيق داخلي: فريق الدار

تدقيق لغوى: إبراهيم فايد

مؤسس الدار

مروان محمد

Website: https://horofpdf.wixsite.com/ebook

Fan page: http://facebook.com/herufmansoura

Email: herufmansoura٢٠١١@gmail.com

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الالكتروني المجاني ولا تتحمل أي مسئولية اتجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

رواية

في ضيافة أجاثا

صفاء حسين العجماوي

أسئلة بحاجة إلى إجابة

***من هي أجاثا؟**

سؤال بديهي إجابته بسيط، أنها أجاثا كريستي الكاتبة الإنجليزية المشهورة.

***هل هذا يعني أن هذه الرواية بوليسية؟**

الإجابة هنا أكثر تعقيدًا، فهي مزيج من نعم، ولا، أجل هي كذلك، ولكن دعني أجيبك بطريقة أخرى، هذه الرواية هي من الفانتازيا الخاصة جدًا، فهنا تستضيفك أجاثا في قصرها لتقابل شخصيات لا تمت إلى عالم أجاثا بصلة، لا يأخذ العجب إلى بعيد، فأنا لم أخبرك بعد بمن هم، أرى الفضول يلتهمك لتسألني عن ماهيتهم، ولكن ما رأيك في مقابلة شخصية مع؟ لا تسألني كيف، ولا تسألني المزيد، وهيا بنا نكتشف الإجابات بأنفسنا.

مقدمة لا بد منها، ، ،

هذه الرواية ما هي إلا رسالة شكر لكل مَن أسهم في تكون شخصيتي ككاتبة، وساعدني لأضع أولى خطواتي على طريقي في عالم الكتابة الرحب.

البداية كانت مع أجاثا كرستي الأم الروحية للأدب البوليسي التي مثلت لي نموذجًا خاصًا أحببته منذ كنت بالعاشرة من عمري، عندما قرأت روايتها جريمة في قطار الشرق السريع، فتعددت لقاءاتي مع قلمها في العديد من رواياتها وقصصها البوليسية، فهي مثال يشار له بالبنان كأحد أقوي الأقلام النسائية -إذا كنت من محبي تصنيف الكاتب حسب نوعه الاجتماعي- والتي فنَّدَت المزاعم بكون المرأة لا تصلح أن تكون كاتبة، وأن كتبت فإن الروايات الرومانسية والواقعية هي التي تناسبها دون غيرها، فإن كنت اتجهْتُ لأكون كاتبة، فالفضل لها بعد الله في هذا الاختيار.

مومياء ممصوصة تعيش على النتروجلسرين، والتي تصبح كهلًا فاتنًا عند ارتداءها بذة كحلية، هذا يعني بالضرورة رفعت أسماعيل - بطل سلسلة ما وراء الطبيعة الصادرة عن المؤسسة العربية الحديثة،

الذي رسم شخصيته المرحوم الدكتور أحمد خالد توفيق- رفيق الصبا والشباب، الذي هرمنا بموته في العدد ٨١، لم يكن مجرد بطل من ورق بل كان خليطًا من الصديق والأخ الأكبر والمرشد، فهو أول من كسر تابوه الأبطال الإغريقي، فلم يعد يلزم أن يكون البطل شابًا شديد الوسامة قوي البنية ساحر البيان، فكل شخص يصلح أن يكون بطلًا، بل إنه في الواقع كل منا بطل في روايته الخاصة، فهو المؤلف لقصة حياتك، وصاحب تقرير المصير، ترددت كثيرًا في الواقع قبل أن أقرأ العددين اللذين توفي فيهما رفعت، لقد خشيت تلك النهاية، فالفراق دائمًا له مرارة العلقم، ولكني ومع كل هذا واجهت هذا الموقف بالكثير من الجسارة، والحزن، فلم أشأ أن أتركه دون وداع يليق به، لذلك أعددت له هدية وداع أتمنى أن تليق به، وأن يسعد بها.

عالم الرسوم المتحركة، هذا العالم الساحر، هو رافد من روافد الفانتازيا، الذي وعلى الرغم من بغض الواقعيين للفانتازيا إلا أنهم وفي مرحلة ما من حياتهم عشقوها عبر إدمانهم لمشاهدة الرسوم المتحركة، للرسوم المتحركة الفضل الأكبر في إبحاري في عالم الخيال، واستمتاعي بكل ما هو غريب، وغير واقعي، وغير بشري، ربما كان ذلك سببًا بشكل غير مباشر في كون أغلب رواياتي تميل إلى الفانتازيا التي تمتزج بالرومانسية أو الخيال العلمي أو التاريخ والرعب.

ياسر العظمة أشهر ممثل كوميدي في العالم العربي، وهو سوري الجنسية، انتشرت أعماله مثل مسلسلات مرايا، وحكايا، وحكايا المرايا من المحيط إلى الخليج، والتي عبرت عن واقعنا المرير بطريقة ساخرة لطيفة، والذي انتقد الأوضاع التي نعيشها بشكل جذاب دون مشهد خادش للحياء، ودون بذاءة لفظية، كان يعتمد على كوميديا الموقف، وسهولة تنقله بين العديد من اللهجات الشامية، وحبه لمصر الذي تجلي في استشهاده بأمثالنا الشعبية، وتقليده للهجتنا بطريقة تشبهنا بشدة، وغيرها الكثير، كما أنه له من القدرة على التلون بين الكوميديا والتراجيديا بشكل سلس يشد المشاهد له، لينقل لك ما يريده دون وساطة، فمن قلبه لقلبك دون حجاب، إنه لنعم الفنان القدير الحامل لهموم وطنه وأمته، فنحن من المحيط إلى الخليج شعب واحد مهما قسمتنا سايكس بيكو أو غيرها.

مع نهاية الرواية كان يجب أن أتوجه بالشكر للمؤسسة العربية الحديثة التي عرفتنا على أدب الخيال العلمي عبر سلسلتي نوفا للأستاذ الدكتور رؤوف وصفي -والذي أخذ بيدي ووضعني على بداية الطريق بنشره لقصصي في مجلة العلم التابعة لأكاديمية البحث العلمي، مع إرشاداته ونصحه، فجزاه الله عني خير الجزاء- وسلسلة ملف المستقبل للدكتور نبيل فاروق، لذلك كانت الخاتمة مع الخيال العلمي، والتي كُتِبَت بنفس الأسلوب وخط دراما روايات المؤسسة، في محاولة مني لشكر

المؤسسة على تعريفنا بالعديد من الألوان الأدبية وخاصة الخيال العلمي، والذي كان بدايتي الأدبية بالقصص القصيرة، وأتمنى أن يكون رفيقي في كتابة الروايات.

الشكر والإهداء

الشكر الموصول لكل من:-

١- الكاتب والناشر مروان محمد عبده على دعمه الدائم لي عبر دارنا الجميلة حروف منثورة.

٢- الصحفي والأديب إبراهيم فايد على تدقيقه للعديد من كتاباتي، ونقده البناء حتي في الألوان الأدبية التي لا يحبها، كالفانتازيا.

٣- أخي الصغير والعزيز إسلام محمد الذي تحَمَّل معي الكثير، وتقبل بصبر تقلباتي المزاجية، وحل الكثير من المشكلات التي واجهتني بهدوء.

٤- الأصدقاء والقراء الذين كانوا سببًا في دعمي ومواصلتي للكتابة ساهر البحيري، فاطمة سيد، محمود هشام، عبده زايد، أ. هناء الطرابيشي، آية الجندي، نادين حمادة، أحمد مكي، محمود مندوه، محمود هشام، سوسن فودة، هاني علي، هند محمود، إيهاب يحيي، ولطيفة محمد منصوري من المغرب.

٥- الكتاب الأفاضل حسام يحيي، محمود المعداوي، هناء مطر، محمد أبو الهنا، منال عبدالحميد، إيمان رجب، وائل عبدالمجيد، شادي خيري.

- "يا له من يوم طويل مرهق، لا أكاد أشعر بقدمي، فأنا لم أجلس لخمس دقائق متصلة، ما كان لي أن أقبل وردية الطوارئ، فأنا لم أعد طبيب امتياز، أنا الدكتور مصطفى وجدي دكتور المخ والأعصاب"

كانت هذه الكلمات تدور في رأسه كالدوامة في منتصف بحر عاصف، غير أنه عينيه المغلقتين مع شفتيه المزموتين حبست تلك الكلمات داخل جمجمته، بينما لم تستطع منع الإرهاق من رسم لوحة المعاناة على ملامحه، تململ في جلسته، وهو يتذكر ما قبل العمل في المشفى الجامعي.

- "أبي أنا لا أريد أن أظل في مشفاك الخاص، فأنا أرفض أسلوب الإدارة هنا، الطب مهنة نبيلة، ولا يجوز لنا أن نرد مريضًا لعدم توفر مكان له بالقسم الخيري.. أبي سأظل في المشفى الجامعي أُعلم وأَتعلم .. الوداع"

يتذكر تلك الحادثة جيدًا، كل كلمة قيلت يحفظها عن ظهر قلب، وكأنها حدثت البارحة، كانت مواجهة عصفت بحياته، وغيرتها إلى الأبد كما يظن.

بينما تتلاحق الذكريات في عقله كانت حالة من الهرج والمرج تسود الاستقبال، والصراخ يتعالى مطالبًا بطبيب الطوارئ، قفز مصطفى منطلقًا صوب مدخل المشفى، وهو يعدو بسرعة تدعو للعجب، كيف ذهب إرهاقه في لحظة؟

سيارة إسعاف تنطلق تلبي استغاثة ما بعد أن تركت مهمة إدخال المريضة لطاقم التمريض، أزاح مصطفى بعضهم جانبًا في سرعة، لتكتشف عينيه المشهد، على المحفة جسد فتاة مسجي بإهمال، جلدها شديد الاصفرار، دمائها تتساقط بسرعة من حجابها المتشرب به لتغرق قماش المحفة الأبيض لتصبغه كالخضاب، ما أن رأى ملامحها حتى اندفع الأدرينالين بعنف في دورته الدموية من الفزع، لا يمكن أن تكون هي، إن عيناه تخدعانه بالتأكيد، لا وقت لرفض الواقع يجب أن ينقذ حياتها، صرخ في طاقم التمريض، وأطباء الامتياز العاملين معه ليحملوها سريعًا إلى غرفة الطوارئ ليبدأ الكشف عليها.

ركض بجوار المحفة، وهمس في أذنها بصوت وقلب ينتفضان ذعرًا: "فرح يا حبيبتي تماسكي أنا بجانبك لن أتركك، فلا ترحلي وتتركيني وحيدًا"

ثم سأل من بين أنفاسه المتقطعة، وهو يركض بجانب المحفة عمن أتي بها إلى المشفى، ليستفسر منه عن الحادث.

أجابته عاملة الأستقبال وهي تلهث: "أتت بمفردها مع الأسعاف، فلقد تلقينا بلاغًا من مجهول بأنها ملقاة في شارع جانبي يبعد عدة أمتار عن ميدان العباسية"

أكمل مصطفى ركضه ليلحق بالجسد المتجه نحو الموت بخطى حثيثة، لينتهي كشفه السريع في سبع دقائق، ثم يأمر بنقلها لغرفة العمليات بسرعة، فحالتها خطرة.

ظلت المصابة لعدة ساعات في غرفة العمليات في محاولة حثيثة لأنقاذ حياتها، تخللها بعض الصعوبات مثل نقص زمرة دماءها، ووضع الكسر بالجمجمة كان حرجًا، إلى جانب التجمع الدموي الذي دفعه لعمل تربنة له، أما أهم الصعوبات التي واجهتهم، فهي إمكانيات المشفى الجامعي ذاته، ولأن وضعها لا يزال خطرًا تم نقلها إلى غرفة العناية المركزة لتخضع للملاحظة الدقيقة.

لم يحاول مصطفى أن يأخذ قسطًا من الراحة بعد تلك الساعات الشاقة التي قضاها في غرفة العمليات بل مكث بجانبها، فقلقه عليها كان ينهش في روحه، إلا أن قدوم الرائد المتولي التحقيق نزعه من جوارها.

سأله عما يعرفه عن المصابة، فرد مصطفى بحزن: "أنها تدعى فرح إبراهيم العباسي، مدرسة بروضة أطفال تسمى سنابل قريبة من ميدان العباسية حيث وجدتها سيارة الإسعاف"

سأله الضابط عن كيفية معرفته بتلك المعلومات حيث أن المصابة لم تكن تحمل إثبات شخصية، فأجابه بأنها زوجته التي لم يمر على زواجهما سوى خمسة أشهر، وأنها كانت في طريقها للمشفى حتى يعودا للمنزل معًا كما جرت العادة، عاد يسأله عن حالتها الصحية، غير أنه أصيب بالإحباط بعد معرفته بوضعها الذي حال دون استجوابها مما دفعه لترك مصطفى، ليبدأ هو ورجاله حملة استجوابات واسعة شملت كل العاملين بالمشفى الجامعي والزائرين والمسعفين، والتي استنزفت ساعات من وقته، ولكن المحصلة كانت صفر.

بينما كان الرائد ورجاله يقومون باستجوابهم، وقف مصطفى يتأمل وجهها الذي لا تهدأ ملامحه، وكأن كل انفعالات الأرض تتنافس على الظهور، والعجب يتملكه كيف لوجهها أن يتحول لخشبة مسرح بدلًا من السكون المعروف لحالات الغيبوبة التي غرقت فيها، مما حداه بالاتصال بصديقه الدكتور محمد مراد، لِيُقْبِلَ إليه في العناية المركزة لمتابعة الحالة العجيبة التي تنتابها.

وقف محمد بجوار صديقه مصطفى يتطلعان لفرح المسافرة في غيبوبتها العميقة، وملامح الدهشة تضئ وجه الأول، والقلق يغزو ملامح الثاني، مما دفع محمد لقول: "هذه الحالة غريبة جدًا، فالأجهزة تشير لنشاط عقلي كالذي يعانيه النائم من كابوس رهيب، بل أظنه أكثر

من ذلك، إننا لا نملك سوى الانتظار حتى الصباح، وهو الوقت الذي يفترض أن تفيق فيه، أو على الأقل تبدأ في الاستجابة لما يدور حولها"

في الصباح الباكر دلفت الممرضة المسئولة عن العناية بالفترة الصباحية لتجد الطبيبين منكسي الرؤوس غافيين، نادت عليهما دون إجابة، فلجأت لهزهما برفق، ثم بقوة حتى استيقَظا، التفت مصطفى نحو المصابة، فوجدها على وضعها، أزاحه محمد ليكشف عليها، ويراجع الأجهزة المتصلة بها.

قال محمد بشكل موجز بعد أن أنهى الكشف: "يجب نقلها إلى مشفى أخرى، كما أننا نحتاج إلى فريق خاص على أعلى مستوى، فهي لا تستجيب لأي مؤثر خارجي، كما أنها تعاني من حالة نشاط عقلي فائق غير مسجلة"

رفع عينيه لينظر مباشرة إلى عيني رفيقه، ثم أكمل بحزم: "يجب نقلها الآن إلى قسم الحالات المميزة بمشفى الحياة... مشفى والدك، فهي المشفى الوحيد المؤهلة لعلاج لتلك الحالات"

نظر مصطفى لصديقه في حرب إرادة انتصر فيها محمد بعد أن لمح مصطفى بطرف عينيه فرح المستلقية على فراشها ووجها يصرخ ألمًا، وانطلق من فوره ليتصل بوالده لأول مرة منذ سبع سنوات، وقلبه يكاد يخرج من صدره خوفًا على زوجته الشابة.

-" ستصل سيارة الإسعاف الخاصة بمشفى الحياة بعد ربع ساعة، علينا تجهيز كل ما يلزم لنقلها بسرعة، كما أن الدكتور سالم وصفي شخصيًا سيكون في استقبالها، وسيكون المشرف على علاجها"

قال مصطفى بعجلة، والدهشة عقدت لسان محمد، فالدكتور سالم وصفي أشهر وأكبر طبيب جراحة مخ وأعصاب في مصر، ورئيس قسم الحالات المميزة بمشفى الحياة، كما أنه أستاذ مصطفى، والسبب الرئيسي في اختياره للعمل بذات التخصص، نفض محمد الدهشة عن نفسه ليبدأ في تجهيز المصابة، بينما ترك انهاء الإجراءات الورقية اللازمة لنقلها لمصطفى.

دوت صافرات الإسعاف لتعلن وصول السيارة المرتقبة، ركض محمد لاستقبالها، بينما أقبل مصطفى مع فرح المحمولة على محفتها، دقائق معدودة وصعد الجميع للسيارة التي تحرك بسرعة شعر بها مصطفى بطيئة، وهو يراقب وجه زوجته الغارقة في غيبوبة عميقة، استغرقت الرحلة ما يقارب النصف ساعة بسبب أزمة المرور في هذا الوقت، مما جعل مصطفى يعيش حالة من الجحيم، فالقلق يمزق قلبه، ووجهها المتقلص ألمًا يملأ عينيه.

فور توقف السيارة أمام باب المشفى، وجد مصطفى والده الدكتور وجدي مهران يستقبل الحالة بنفسه، وهو يأمر بأخبار الدكتور سالم وصفى بوصول المصابة ليستقبلها أمام قسم الحلات المميزة، ثم ركض بجوارها، ومعه عدد من الأطباء والممرضات إلى المصعد دون أن يلتفت إلى مصطفى أو محمد، شعر مصطفى بالضياع، ولم يعد يعلم ما يجب عليه فعله.

ربت محمد على كتفه، وقال: "علينا أن نلحق بهم"

ثم أمسك بيده وركضا تجاه مصعد آخر ليلحقا بهم.

دخلا فوجدا الدكتور سالم ودكتور وجدي يقومان بالكشف على زوجته، وتوصيل أجهزة المتابعة، لمحهما دكتور سالم، فقال لهما: "أنتما المشرفان على حالتها، هلا أخبرتمانا بوضع الحالة منذ دخولها للطوارئ"

اندفع مصطفى في شرح تفصيلي دقيق، بينما قدم محمد ملف الحالة الشامل كافة التحاليل والفحوصات والأشعة التي أجريت لها لدكتور وجدي الذي أشار لمصطفى ليعاون دكتور سالم، وهو يقرأ الملف بسرعة، ثم أعطى ملخصًا سريعًا ووافيًا لدكتور سالم الذي أنهى عمله في ذات اللحظة التي أنهى فيها الدكتور وجدي كلامه، فقال الأخير: "علينا عقد اجتماع طارئ حالًا في الغرفة المجاورة لتدارس الوضع"

ثم أشار للأطباء المعاونين وطاقم التمريض بمتابعة الحالة متابعة دقيقة حتى يعود أربعتهم.

تقدم دكتور سالم الجميع، يتبعه دكتور وجدي، وفي المؤخرة محمد ومصطفى، ما أن دلف أربعتهم إلى الحجرة حتى تناول دكتور سالم الملف، وبدأ مطالعته بنفسه، ثم قال وهو يغلقه عقب الأنتهاء من قراءته: "أنها حالة غريبة، لم أقابل مثلها أبدًا، فوجهها المنقبض يدل على الألم، وربما التفكير العميق، كما أن نشاطها العقلى فائق قد تعدى نشاط الحالم، لنشاط المستغرق فيما يفكر به، ولذلك فهي لا تتأثر بما يدور من حولها، فهي تتجاهل المؤثرات الخارجية عمدًا، وأكثر الأمور غرابة الغيبوبة بحد ذاتها، فالأجهزة تشير إلى أنها بكامل نشاطها العقلي على خلاف أي غيبوبة تصيب الحالات المماثلة"

ثم صمت ونظر الدكتور وجدي الذي قال بجدية: بما أني وفريقي من خبراء النوم عملنا على حالات النوم والغيبوبة، وأن كانت غير متشابهة، فإننا يمكن أن نعمل تحت إمرتك كما أن جهاز رؤية الأحلام الذي قمنا بتطويره يمكن أن تخضع له لنرى ما يدور حاليًا في عقلها"

رد دكتور سالم: "هذا جيد جدًا"

ثم التفت إلى مصطفى ومحمد، وقال: "إنكما مرهقان، ولذلك ستأخذان الوردية الليلة على أن تبلغانا بما يستجد، أما أنا والدكتور وجدي سنعمل مع فريقينا في الوردية الصباحية"

قال دكتور وجدي: "غرفة استراحتكما هي المجاورة لفرح، والآن يمكنكما أخذ قسط من الراحة"

نظر محمد إلى مصطفى الذي تطلع إلى والده واستاذه اللذان لم يعيرا أي منهما أدني اهتمام، وظلا يعملان على ترتيب الإجراءات الواجب اتخاذها، تقدم مصطفى متعثرًا بخجله، وصوت والده البارحة يملأ أذنيه "من المتصل؟.. أهذا أنت يا مصطفى، كم افتقدت صوتك.. أجل يمكنك نقلها، ومتابعة حالتها أنت ومحمد.. هذا مشفاكما أيها الجاحدان"

لامست يدا مصطفى المرتعشة كتف أبيه، وقال بخفوت" أبي.. لقد أشتقت إليك، أغفر لي يا أبي"

لانت ملامح دكتور وجدي مع لمسة ولده، ثم التفت مع كلمات مصطفى واحتضنه، وقال له: "لقد افتقدتك، واشتقت إليك أيها الشقي"

طرقات على باب الغرفة قطعت تلك اللحظات العاطفية تبعها تقدم ممرضة تعلن تركيب جهاز الأحلام، وهو يعمل بكفاءة، انطلق الجميع إلى شاشة العرض التي نقلت لهم أغرب المشاهد التي لم يتوقع أحدهم مشاهدتها يومًا.

- "يا إلهي ما هذا الألم؟ أين أنا؟ "تمتمت بألم"

- "عزيزتي فرح، مرحبًا بكِ في عالمي وعالمك، في عالم الأحلام"

تردد الصوت الهادئ في عقل فرح التفتت إلى مصدر الصوت، فوجدت امرأة انجليزية ترتدي ملابس كلاسيكية، بل هي الكلاسيكية ذاتها، قادمة من بداية القرن العشرين، إنها تعرفها، وتحبها.

- "إنني لا أصدق عيناني، الكاتبة البوليسية الأشهر على مر عقود أجاثا كريستي"

هتفت بحماس، ثم انقبضت في خوف مفاجئ، فأردفت بخوف: "هذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا"

قاطعتها أجاثا بهدوء قائلة: "صديقتي أخشى أنكِ مصابة بغيبوبة من نوع خاص أهلتك للاتصال بي في عالم الأحلام، وأجرؤ على القول بأنكِ ضيفة في عالم الأحلام حتى يجد الأطباء الوسيلة التي تمكنهم من إعادتك لعالم الواقع"

سقطت فرح جالسة أرضًا تبكي بلا صوت...

ابتسمت أجاثا قائلة بصوت أرادته مرحًا: "لا داع للبكاء يا عزيزتي، سيعجبك عالمنا كثيرًا، إنه حيث لا قواعد للمنطق، والعقل، والعلوم الطبيعية، أنها الفانتازيا الخالصة، ذات رونق خاص كلها من إبداعاتك"

رفعت فرح عينيها إليها مستفهمة، فأجابتها ببساطة: "إن هذا كله من وحي خيالك، حتى أنا مرشدتك أنتِ وحدك من اخترتني من بين الجميع لأريكِ هذا العالم الرائع"

قامت فرح، وأخذت تتطلع لما حولها بأهتمام، فإذا بها في حديقة قصر فيكتوري الطراز، ذات منظر أخاذ، وشمس الصباح الدافئة تغمرها، وأقبلت هرة صغيرة تتمسح بقدميها، تشبه إلى حد كبير تماثيل النترت باستيت[١] التي كان يقدسها الكمتين[٢]، عانقت عيون فرح الأزهار، والأشجار من حولها، وارتسمت بسمة رضا على شفتيها الصغيرتين، فأشارت لها أجاثا بالجلوس لتناول الإفطار الإنجليزي العتيد المكون من بيض مقلي، وخبز محمص، والكلاوي المحمرة واللحم المقدد وأكواب العصير الطازج المنتظر لها على منضدة تبعد عن يمينها بخمس خطوات.

جلست بهدوء، وعلى يمينها استوت أجاثا جالسة، وشرعت في تناول إفطارها، كمن اعتاد على ذلك يوميًا، وبجانب قدمي فرح مكثت الهرة تموء بسعادة، نظرت فرح لرفيقتها بخجل، فوجدتها منشغلة بإفطارها، فمدت فرح يدها ببطء نحو الطعام الذي أثرت أن تأكل القليل من كل نوع حتى لا يفوتها الاستمتاع بشيء منه، دون كلمة تناولتا الأفطار، ثم أقبلت القهوة مع خادمة مهذبة رقيقة شكرتها أجاثا منادية إياها باسم جلاديس.

أخذت كلتاهما ترشف القهوة في صمت محبب، قطعته فرح قائلة بفضول: "وماذا بعد القهوة؟ أنا متشوقة لرؤية هذا العالم"

ابتسمت أجاثا بتفهم، ووضعت فنجانها، وقالت لها: "إذا انتهيتي من القهوة يمكننا الذهاب الآن"

تركت فرح فنجانها على المنضدة دون أن تنهيه، ووقفت معلنة استعدادها للذهاب، وكذلك فعلت هرتها التي وقفت على قدميها بمحاذاة سيدتها، مما حدا بأجاثا بالوقوف برشاقة سيدة إنجليزية تقليدية قادمة من قرن ماضٍ، ولفرط دهشة فرح قادتها للقصر، وليس إلى العالم الخارجي كما توهمت.

أجابت أجاثا سؤالها الذي لم تتلفظ به، دون أن تتوقف أو تنظر إليها: "أن رحلتنا تبدأ من داخل القصر، وليس من خارجه"

دلفت كلتاهما لغرفة استقبال كبيرة، وجلست أجاثا بهدوء، فحذت فرح حذوها، والانتظار يشع من عينيها، ظلت أجاثا صامتة لبرهة كعادة الإنجليز، ثم قالت بجدية: "صديقتي العزيزة أن خلف أبواب حجرات هذا القصر حكايات عالمنا هذا، ما أن تلجي أحداها ستعيشين الحكاية كبطل من أبطالها، فإن انتهت الحكاية، أو أردتي مغادرة الغرفة، ستجدي بابًا عليه دوامة بألوان قوس قزح سيخرجك إلى حيث تجدينني لننتقل إلى الغرفة التي تليها"

هتفت فرح بحماس: "هذا رائع، ولكن هذا يعني أن عليَّ أن أدخل الغرفة بمفردي"

هزت أجاثا رأسها بوقار بمعنى "نعم"، ثم أشارت إليها لتلحقها إلى أولى الغرف بالطابق الأول.

كانت أجاثا تسير بهدوء، ووقار، أما فرح المتلهفة للمغامرة، فكانت تتعثر في مشيتها، وهي تحاول ألا تسبق مرشدتها إلى حيث لا تعرف، وقفت أجاثا في ردهة كبيرة بالطابق الأول حيث عشر حجرات ذات أبواب مختلفة الألوان، وقالت لفرح بهدوء: "إن الحجرات هنا لا تحمل أرقامًا، ولكن لها أسماء، وعليكِ أن تختاري أي باب تريدي أن تدخليه"

وقفت فرح حائرة، ونظرت بعينيها إلى أجاثا طالبة العون، التي أفهمتها بنظرة حانية أنها لا يمكنها المساعدة، فهي صاحبة القرار الوحيد، أخذت تسير بين الغرف، فجذب انتباهها ما كتب على باب وردى اللون بأحرف رشيقة "عالم أجاثا كريستي".

ابتسمت أجاثا برصانة، وقالت -والهرة تقفز لتستقر بين يديها-: "هيا تقدمي"

فتحت فرح الباب، فوجدت أجاثا جالسة وبين يديها دفتر أوراقها، وقلم، وبجوارها ثلاث أشخاص يوالونها ظهورهم.

التفتت لأجاثا الواقفة بجوارها متعجبة، فقالت لها الأخيرة ببساطة: "هذا طبيعي، ولكن قبل أن تبدأي الحكاية، أنهم يرون مغادرتك الآن"

سألتها فرح بتعجب: "من هم الذين يرون مغادرتي؟"

أجابتها أجاثا باستغراب: "الأطباء بالطبع، فهم يلجون إلى داخل عقلك بجهاز رؤية الأحلام، ويستمعون لحديثنا الآن"

اقتحم مصطفى غرفة فرح يتبعه الجميع ركضًا لرؤية شاشة العرض الخاصة بجهاز رؤية الأحلام، كان وجه فرح يعبر عن الدهشة، والتساؤل في حين كانت شاشة العرض تنقل لهما حديثها مع أجاثا قبل دخولها الغرفة، ماتت الكلمات في أفواه الجميع الدهشة، والكل يشاهد ما يدور بصور نقية ذات جودة عالية، ويستمعون بصوت واضح لكل ما يدور بعقل فرح، ولكن مصطفى كان أول من قطع الصوت بصوت هامس: "أجاثا كريستي مؤلفة القصص البوليسية الشهيرة"

سأل محمد بتعجب: "ما هذا الذي يحدث؟"

رسم الذهول ملامح وجهَي الدكتور وجدي والدكتور سالم، وألجم ألسنة الباقين، غير أبصار الجميع تعلقت بالشاشة باهتمام، وفضول.

..*.*.*

دلفت فرح إلى الحجرة لتجد مناقشة حامية الوطيس بين أجاثا ورفاقها "الآنسة ماربل"، و"هركيول بوارو" و"المفتش باتل"، كانت من الشدة جعلتهم لا يشعرون بدخول فرح، أو صوت فتح وغلق الباب، وقفت فرح على بعد خطوات منصتة.

حانت التفاتة من الآنسة ماربل ليقع بصرها على فرح، فقالت لها بهدوء: "تفضلي بالجلوس يا عزيزتي، تبدين شاحبة"

ابتسمت لها أجاثا، وقالت بأسف: "أعتذر لعدم انتباهنا لدخولك، تفضلي هنا بجانبي"

قام هركيول بوارو بإحضار كوب من عصير الليمون، وقدمه لها برقة، وهو يقول: "عزيزتي، تقبلي اعتذارنا"

ابتسمت له، وقبلت الكوب شاكرة، جالت بنظرها في الغرفة، كانت حجرة جلوس إنجليزية تقليدية، ذات ستائر زرقاء، وأشعة الشمس تدخل على استحياء لتلقي ببعض أشعتها على ساعة الحائط، وإطار يحيط بصورة لأجاثا كريستي، وهي أصغر سنًا.

قال المفتش باتل بجد: "عزيزتي نحتاج مساعدتك لإنهاء هذا الخلاف"

أطلت نظرة متسائلة من عيني فرح، فأجابها بوارو شارحًا: "إن السيدة كريستي تشرع الآن في كتابة قصة جديدة، وهي في حيرة أيُّنا تختاره ليكون بطل قصتها، وأنا أرى أنني أحق شخص بالبطولة"

وأردف بغرور" بل أنا، فمن لا يعرف هركيول بوارو أشهر أبطال أجاثا كريستي، وأعظم متحرٍّ في أوروبا، وصاحب أذكى خلايا رمادية، وأروع شارب في العالم"

تنحنح المفتش باتل، وقال ببرود أنجليزي، ووجه لا يشف عما يدور بخلد صاحبه" ولكن لا تنسَ دور اسكتلانديارد في حل الكثير من القضايا، وأن رجالها من أكفأ رجال الشرطة بالعالم"

ضحك بوارو باستهزاء، وقال: "ولكن أنا هركيول بوارو من يحل ما أستعصى عليكم من قضايا، ولا تنسى أنكم دائمًا في حاجة إليَّ، يمكنك سؤال كبير المفتشين جاب"

احمَرَّتْ وجنتي المفتش باتل، وقبل أن يرد له الصاع صاعين تدخلت الأنسة ماربل، وقالت بصوتها الضعيف بهدوء: "ولكن ماذا عني أنا؟ أنا خبيرة النفس البشرية التي أستعانت بي أسكتلانديارد كثيرًا، وكبير المفتشين هنري أشاد بي بشدة"

زادت حمرة وجه المفتش باتل، وقال بغيظ: "حتى أنتِ يا آنسة ماربل تقللين من شأن رجال أسكتلانديارد كثيرًا، وأنتِ سيدة إنجليزية، تقفين مع هذا البلجيكي اللاجئ!"

نظرت أجاثا بحيرة إلى فرح الملتاعة من هذه المعركة الكلامية التي كانت آخر شيء يمكن أن يخطر ببالها قبل دخول هذا الباب، كم تشعر بالشفقة على أجاثا، أكانت دائمًا هكذا عند شروعها في كتابة أحد أعمالها؟!

أشارت أجاثا بيدها للجميع ليحل الصمت، وهي تقول بحزم: "هذا لا يجوز، لقد أثرتم فزع ضيفتنا كثيرًا، يا له من استقبال غير جيد"

التفت الجميع نحو فرح ذات الوجه الممتقع، فربتت الآنسة ماربل على كتفها بحنان الأم، بينما تقدم بوارو لينحني لها برقة، وهو يقول معتذرًا

بملامح يملأها الأسى: "تقبلي أعتذاري يا أنستي، ياله من استقبال سيء"

ثم وقف والتفت إلى المفتش باتل، وقال بغرور: "ولكن هذا العنيد هو من حول النقاش إلى صراع بلا داع، فالموقف محسوم طبعًا لصالحي أنا هركيول بوارو"

نظرت فرح إلى أجاثا مستنجدة بها لتوقف هذا الصراع الذي كاد أن ينشب مرة أخرى، لمعت عيني أجاثا بالظفر، وقالت بحماس: "أظنني وجدت حلًا يريح جميع الأطراف"

التفت الجميع إلى السيدة الجليلة التي قالت بهدوء ورزانة: "الحل الوحيد ليحل الوئام بينكم جميعًا أن تكون ضيفتنا هي بطلة القصة"

علت الدهشة وجوه الجميع، وحاولت فرح الاعتراض متعللة بأنها لا تصلح لدور المحقق، بالطبع هى قرأت جميع أعمال أجاثا كريستي البوليسية، بل تحفظها عن ظهر قلب، أجل هي مدمنة لقراءة قصص بوليسية، ولكن لا تصلح لدور بوارو أو المفتش باتل، وكذلك الآنسة ماربل أذكى منها، غير أن معارضتها خبت مع رجاء أجاثا بقولها: "عزيزتي إنه الحل الوحيد، إنكِ ترين ما آلت إليه الأمور"

أيدت الأنسة ماربل رأي أجاثا بهزة موافقة رقيقة من رأسها، وقال المفتش باتل بحزم: "وأنا أفضل أن تكون ضيفتنا -وإن لم تكن إنجليزية- عن السيد بوارو، فقد فاق غروره كل الحدود"

غضب بوارو من كلام المفتش باتل، غير أنه أسرع بتأييده للفكرة بقوله: "أنا كبلجيكي يحترم النساء، فأنا أتخلى عن دوري بكل سرور، وأتمنى لها التوفيق، وإن أرادت أن أصحبها، فأنا بِأَمْرِها"

غضب باتل، وقطب جبينه، في حين قال أجاثا بحسم: "ستكون ضيفتنا هي البطلة الوحيدة، وستصبح المفتشة سارة كارمايكل إحدى ضباط أسكتلانديارد، وذات خلايا رمادية ذكية كالسيد بوارو، وخبيرة بالنفس البشرية مثل الآنسة ماربل"

استحسن الجميع الفكرة، وأيدوها، وقال بوارو بغرور: "خلاياها الرمادية حتمًا ستكون أقل كفاءة من خلاياىَّ، ولكني أرحب بالفكرة"

تأفف باتل بصوت مسموع من كلامه، في حين قالت الآنسة ماربل: "إن الغرور البشري إحدى الخطايا السبع سيد بوارو"

قاطعت فرح الجميع قائلة: "ولكني لا أعلم شيئًا عن جرائم القرن الماضي، كما أني أعلم أنه في هذا العهد لم يكن هناك مفتشات في اسكتلانديارد"

ضحكت أجاثا برقة، ودوت ضحكة بوارو في أنحاء الغرفة، بينما أفتر فم الآنسة ماربل عن ابتسامة هادئة، في حين قال باتل الجامد الوجه: "عزيزتي أنها أجاثا كريستي أكبر كتاب القصص البوليسية، كما أن أحداث مغامرتك ستكون في الوقت الحاضر"

التمعت عيني فرح بدهشة، وهزت أجاثا الضاحكة رأسها مشيرة لها بدخول باب بني اللون ظهر لها فجأة، وقالت لها الأنسة ماربل: "عندما تعبرين الباب ستبدأ الحكاية، وتعرفي المعلومات على قدر الحاجة"

نظرت فرح للباب بخوف، ثم التفتت إلى بوارو مستنجدة، فابتسم لها، وقادها للباب، وفتحه وهو يقول بطريقة مسرحية: "أتمنى لكِ التوفيق يا عزيزتى"

-" ما هذا الذي يحدث بالله عليكم؟"

هتف محمد بذهول، والتفت إلى مصطفى الذي أخذه الذهول إلى أقصى مدى، وبدأ يحيل نظره بين الشاشة وفرح التي ارتسم على ملامحها الانفعالات التي تنم على أنها تعيش بكيانها كل ما يدور بعقلها، وبقوة.

هتف الدكتور وجدي في مساعده الشاب المذهول: "هل تسجل ما نراه الآن؟"

هز رأسه مؤكدًا، وهو يقول بحماس وسرعة: "أجل نسجل كل شيء من البداية"

التفت دكتور سالم إلى دكتور وجدي سائلًا: "هل ما نراه سيفيدنا في شيء؟"

لم يجبه بل ترك السؤال معلقًا بالغرفة دون إجابة.

..*.*.*

ما إن دخلت فرح من الباب حتى وجدت نفسها قد تحولت إلى المفتشة سارة كارميكل بزيها الرسمي، وبين يديها بعض الأوراق، واندمجت في الأحداث كأن فرح لا وجود لها.

-" سيدي كبير المفتشين براون لقد أحضرت لك التقرير النهائي عن قضية شركة أندرسون"

قالت كارميكل بلهجة رسمية موجهة حديثها لكبير المفتشين براون المنشغل بمحاولة إصلاح التلفاز الذي يحمل رسالة رتيبة (لا توجد أشارة).

التفت كبير المفتشين براون لها بعينين زجاجيتين رأت فيهما انعكاس صورتها، فتاة إنجليزية صميمة ذات عيون خضراء، وشعر مزموم حول رأسها كالكعكة أصفر اللون، ووجه أبيض شاحب، ووجنتين محمرتين.

انتبَهَ كبير المفتشين، وقال لها بصوت حازم: "ماذا هناك يا سارة؟"

كانت ملامحها متحفظة لا تشف عن شيء، وإعادة كلماتها بنفس اللهجة الرسمية: "لقد أحضرت التقرير النهائي الخاص بقضية أندرسون، كما طلبت مني يا سيدي"

قال لها بشرود: "ضعيه على المكتب"

لم تستطع سارة إخفاء قلقها الذي بدأ يدب في قلبها، فهذه أول مرة ترى مديرها على هذه الحالة دون سبب واضح، فقالت بصوت قلق: "ماذا هناك يا سيدى؟"

تنفس كبير المفتشين براون بعمق، ثم قال: "اجلسي يا سارة، إنها معضلة غريبة، ولأني لا أعرف حلها، فهذا يسبب لي بعض الارتباك"

جلست سارة على المقعد المقابل له، فأكمل: "تعرفين القناة الإخبارية بيور (PURE) الأشهر في بريطانيا، لقد أنهت إرسالها أمس كما العادة بعد موجز الأنباء في منتصف الليل دون حدوث شيء غير طبيعي، أما

عند بدء البث في السابعة صباحًا وإلى الآن لم تستأنف البث، وهذا لم يحدث منذ بداية عمل القناة، أي منذ خمسة وعشرين عامًا"

قالت سارة بتأنٍ: "هناك عدة احتمالات لتأخر البث، لا زالت الساعة التاسعة صباحًا"

نظر لها كبير المفتشين براون بأن تكمل، فازدردت ريقها، ثم أكملت بشك: "ربما كان هناك عطلًا فنيًا صعب الإصلاح"

هتف وهو يهز رأسه مستنكرًا بشدة: "كيف هذا، عطل يظل تسع ساعات"

اندفعت قائلة: "ربما لم يكتشفوه إلا صباحًا عند موجز السابعة صباحًا، وهناك احتمالات أخرى، فربما كان هذا نوع من جذب الانتباه، سيدي أنت خير من يعرف كيف يفكر رجال الإعلام، ولربما"

قاطعها كبير المفتشين بإشارة نزقة من يده، وهو يقول: "كلا يا سارة إنها احتمالات ضعيفة"

قالت سارة بلا مبالاة حازمة: "سيدي لو حدث شيء مما تخشاه لعلمنا به، فالشرطة المحلية ستبلغنا من فورها إذا حدث شيء"

ما أن أنهت جملتها حتى ارتفع رنين الهاتف، تناول كبير المفتشين السماعة، وابتدر المتكلم قائلًا: "كبير مفتشي اسكتلانديار فيليب براون، مَن المتحدث؟"

علت ملامحه دهشة ممزوجة بالصدمة مما يسمع، انتظرت سارة رئيسها حتى أنهى الاتصال على أحر من الجمر، ثم التفتت إليه مستفهمة، فأجابها بصوت مشروخ: "جريمة قتل بشعة"

سألت سارة بخوف: "أين يا سيدي"

جاءها رده مفاجأة كبيرة لها: "قناة بيور الإخبارية"

أخذت سارة تحث الخطى بجانب كبير المفتشين براون الذي لولا وقاره لأخذ يركض منذ ترك السماعة حتى موقع الحادث، دلف كليهما إلى مبنى المحطة التلفزيونية الشهيرة، وكليهما منقطع الأنفاس من فرط الإثارة، أشار لهما جيمس برود بيده، وقال بصوت عالٍ: "سارة، أنا هنا"

ردت عليه بإشارة مماثلة، وقالت بصوت مرتفع كي يسمعها: "أنا قادمة يا جيمس"

غضب كبير المفتشين، وقال لها: "هذا غير مقبول يا سارة، إنه موقع الجريمة"

حاولت سارة أن تجيبه، فقاطعها بنفاذ صبر قائلًا: "أعلم مَن هو جيمس، إنه أول من حملك بيديه عند ولادتك، وبذلك أصبح ابن الجيران ذو الخمسة أعوام المسئول عنكِ حتى أنه من ألحقك بالشرطة"

ابتلع ريقه، ثم أكمل بحزم: "لكننا في العمل، ولا أريد أن أكرر تنبيهي مرة ثانية"

أنهى كلامه قبل أن يصلا حيث جيمس بخطوتين الذي بادرهما قائلًا: "سيدي كبير المفتشين براون مرحبًا بك"

ثم غمز عينيه اليسرى، وهو يقول بمرح: "سارة افتقدتك كثيرًا يا عزيزتي"

غضب براون، وأجابت سارة برسمية وتحفظ، وهي ترد بغمزة مماثلة من عينها اليمنى: "دكتور برود أهلًا بك، هلا أخبرْتَنا بشيء من التفصيل عما يدور هنا"

ابتسم جميس وهو يخفي ابتسامة كادت تفترش وجهه، وهو يقول بطريقة عملية: "لقد أخطرتني الشرطة المحلية بأن أفراد أمن المحطة التلفيزيونية، وعند الساعة السادسة صباحًا –وهو موعد تغَيُّر الورديات-، وكما هو معتاد يعطى رئيس الوردية الليلية التقارير لرئيس الوردية الصباحية، ويمر معه في جولة تفقدية قبل أنصرافه، وجدوا عددًا من الجثث في صالة تحرير الأخبار، فاتصلوا بالشرطة المحلية، التي اتصلت بكم بعد أن وجدنا جميع العاملين جثثًا هامدة مشوهة بشكل بشع"

ثم رفع الملاءة من فوق إحدى الجثث ليريا ما بدا لهما كجثة مشوهة بشدة، وآيات الألم المروع ترتسم على ملامحها، وهو يقول: "كما ترى يا سيدي، فكل الجثث بهذا الشكل المروع"

أشاحت سارة بوجهها الشاحب سريعًا، في حين علت ملامح الاشمئزاز كبير المفتشين الذي سأل: "وما هو السبب في الوفاة، وهذا التشوه؟"

أجابه برود بقوة وحسم: "إنه غاز الخردل يا سيدي"

لم تتمالك سارة نفسها فهتفت بتعجب: "أليس هو أحد غازات الحرب الكيميائية؟ أنه محرم دوليًا، ولقد استُخْدِمَ في حرب الخليج الأولى[٢]، وتسببت في كوارث مروعة"

منحها جيمس هزة رأس بالإيجاب، مما أثار رعبها ورعب كبير المفتشين، فالقاتل سفاح لا يهتم بالحياة البشرية مقدار شعرة.

سألت سارة بفزع: "ولكن كيف استخدم هذا الغاز؟ وكيف نقف الآن دون أي ضرر؟"

أجابها جيمس مطمئنًا: "عزيزتي سارة إن هواء المكان الآن نقي مئة بالمئة، فالنظام بالمحطة يعمل على تجديد الهواء في كافة أنحاء المبنى عن طريق فتح جميع منافذ الهواء من الرابعة صباحًا ولمدة ساعتين، ثم تغلق جيدًا ليعمل مكيف الهواء بقية اليوم"

أقبل المأمور بخطوات رزينة، ثم قال مرحبًا: "سيدي كبير المفتشين براون، والمحققة كارمايكل مرحبًا بكما، حمدًا لله على قدومكما، فهذه الجريمة أكبر من قدراتنا بكثير"

صافحه كبير المفتشين ببرود وكبرياء، بينما صافحته سارة بتحفظ، في حين قال المأمور في نفسه: "أنا أكره رجال اسكتلانديارد، فهم مغرورين بشدة، والتعامل معهم مثقل بكبريائهم ومعاملتهم لنا بالدونية، ولكن ماذا عساي أن أفعل، فهذه القضية تقع في نطاقهم"

سأله كبير المفتشين بلا مبالاة: "أيها المأمور هلا أطلعْتَنا على ما قمتم به قبل حضورنا"

تمالك المأمور نفسه، وقال بلهجة لا تحمل أي مشاعر: "الأعمال الروتينية المعتادة، ولقد اكتشفْنا أن جميع العاملين بالوردية الليلية قد قتلوا، وأن رجال الأمن لم يلحظوا شيئًا لأنهم كانوا في حالة سكر شديد، حيث كانوا يحتفلون أمام البناء بزواج أحدهم، وبالتالي أهملوا كافة واجباتهم، ولم يكتشفوا شيئًا حتى موعد إبدال الوردية، وقدوم رجال أمن الوردية الصباحية الذين يسبقون بقية العاملين بساعة كاملة"

سألت سارة بشكل روتيني: "هل تغيب أحد عن الوردية الليلية أو الصباحية؟"

أجابها المأمور الذي توقع السؤال بسرعة: "ثلاثة، وهم المهندس بيتر مكميلان المسئول عن التكييف المركزي، ومايكل جيرالدين الفني التابع لمكميلان، والمهندس دافيد جرهام المسئول عن أعمال الصيانة، وقد تغيب ثلاثتهم عن الورديتين"

نظر كبير المفتشين براون نحو سارة، وقال بصورة تقريرية: "أظننا سنبدأ من هناك"

ثم انتقل الجميع إلى غرفة مدير القناة ليبدؤوا التحقيق.

تصدر كبير المفتشين الغرفة حيث جلس خلف مكتب مدير القناة، ثم أمر رجال المأمور بإحضار المشتبه بهم على وجه السرعة، على أن يحقق المأمور ورجاله مع أفراد الورديتين الأمنيتين، والعاملين بالفترة الصباحية، ويأيتيه بتقرير عن عما حدث، لرسم ما حدث في مخيلتهم بشكل يتيح له التحقيق مع المشتبه بهم.

بعد نصف ساعة كان كبير المفتشين يلقي بالتقرير الذي أعطاه له المأمور على الطاولة بملل، ورفع سماعة الهاتف بالمأمور يطلب منه أن يحضر المشتبه بهم مع أحد جنوده، ثم التفت إلى سارة مبتسمًا، وتظاهر بسؤالها: "هل لا زلتِ تودين ذلك"

أجابت سارة بهدوء: "أجل يا سيدي، فأنت تعلم أن أحد أسباب تفوقي هو عدم مقابلتي للمشتبه بهم وجهًا لوجه، فهذا يتيح لي عدم التأثر بهم، فأنا أحتاج أن أراهم بعقلي فقط".

ثم ضحكت برقة، وأتبعت: "إن خلاياي الرمادية تحب ذلك"

ضحك كبير المفتشين، ومازحها قائلًا: "عزيزي مسيو بوارو لك هذا" ثم أشار إليها بإشارة ذات مغزى على إثرها اختبأت خلف أحد الأبواب، والذي تركته مواربًا.

طرق أحد الجنود باب الغرفة، ليدخل بعد الإذن له، فيقول بشكل رسمي: "لقد أقبل المهندس بيتر مكميلان، والمهندس ديفيد جرهام، والسيد مايكل جيرالدين"

أمره كبير المفتشين بإحضار المهندس دافيد جرهام الذي دخل، وكل جسده ينتفض بقوة، كما كان يحك أنفه بيده اليسرى كثيرًا، وشفتاه تهتز مع اصطكاك فكيه رعبًا، أشار كبير المفتشين له بالجلوس قبالته، وسأله بصوت بارد كالثلج: "المهندس دافيد جرهام المسئول عن أعمال الصيانة بالمحطة"

هز ديفيد رأسه بالإيجاب بشكل سريع وعنيف، مما دعى كبير المفتشين بإكمال حديثه بنفس اللهجة: "أنا كبير المفتشين بأسكتلانديارد فيليب براون.. أرى أنك قد علمت بما حدث"

همس جرهام بصوت لا يكاد يسمع: "أجل يا سيدي"

نظر كبير المفتشين إلى أنامله، وقال بنبرة شابها ضى من الدفئ متعمدًا: "دعنا نبدأ بالأسئلة الروتينية، اسمك وسنك وعنوانك ووظيفتك، ومنذ متى تعمل بها؟"

أجابه بصوت ينم عن توتر رهيب يمتلك صاحبه: "اسمي ديفيد جرهام، وأبلغ من العمر خمس وثلاثون عامًا، وأسكن بضاحية .... بلندن، وأعمل مهندس الصيانة المسئول عن المحطة منذ خمسة أعوام"

هز كبير المفتشين رأسه، وظل صامتًا خمس دقائق كاملة، دمر خلالها أصاب جرهام بقسوة، شعر كبير المفتشين بأنه بلغ مراده من تحطيم أعصابه، فعاد لاستجوابه، فسأله باهتمام: "ما الذي دعاك للتغيب عن ورديتَي الأمس واليوم سيد جرهام؟"

رد جرهام بصوت واهن: "كنت متوعكًا يا سيدي"

نظر إليه بقسوة، وقال بصوت صارم ثلجي: "أخشى أنني لا أصدقك يا سيد جرهام"

تملكه الذعر كفأر بالمصيدة، وهتف: "وما الذي يدعوني للكذب يا سيدي؟"

أراح كبير المفتشين رأسه إلى الوراء، وقال بلهجة جافة: "لأنك تشاجرت مع رئيس المحطة الأول من أمس، ويبدو أنه أراد طردك من العمل"

انتفض جرهام، وقال بفزع: "ليس صحيحًا، أنا لم أتشاجر مع أحد، كما أنهم لا يستطيعون طردي، فأنا أكفأ موظف هنا، يمكنك سؤال الجميع"

قال كبير المفتشين ببرود: "الجميع مات كما تعلم سيد جرهام، ومعهم رئيس المحطة"

تنفس جرهام الصعداء، وقال بانتصار: "أرى أنه لا يمكنك إثبات كلامك يا سيدي"

هنا تدخلت سارة عبر سماعة الأذن الذي تصلها برئيسها، والتي لا يعلم عنها أحد شيئًا: "سيدي لا تنسى أنه يهودي، ربما كان سبب المشاجرة مطالبته بزيادة أجره"

ابتسم كبير المفتشين، وقال بهدوء دغدغ أعصاب جرهام: "سيدي المهندس جرهام أخشى أنك تشاجرت مع رئيس المحطة لزيادة أجرك، وأنه قد رفض إجابة مطلبك بشدة، ولذلك أردت إجباره على دفع الزيادة التي تريد، فتغيبت عمدًا لأكثر من وردية، ولربما تسببت في عطل يظهر أثناء تغيبه لتضعه في موقف الضعيف، فيرضخ لطلبك"

ارتسم الزعر على وجه جرهام، وقال بصوت مرتجف: "ربما كان كلامك صحيحًا، ولكني لم أقتل أي شخص، أنا بريء"

ضحك كبير المفتشين، وقال بنبرة لاذعة: "من الذي اتهمك بالقتل، فأنا لم أتحدث سوى عن تغيبك المتعمد، يبدو أن ضميرك المثقل بالذنوب يؤرقك"

وقبل أن يرد عليه جرهام، عاجله قائلًا بلهجة رسمية حاسمة: "سيد جرهام أخشى أنني مضطر للتحفظ عليك لحين الانتهاء من هذه القضية"

وهنا توقف تنفس جرهام، وجحظت عيناه رعبًا.

ضحك كبير المفتشين براون، وأشار لسارة بعد خروج جرهام، وقال لها: "لقد قتله استنتاجك رعبًا"

ابتسمت سارة، وقالت بهدوء، وهي تقف أمام رئيسها: "كان لابد أن يكون سبب تغيبه مشاجرة، وعلى الرغم من عدم معرفة الجميع بها، فهذا الجرهام يهودي، وهم كما تعلم يا سيدي يعشقون المال، فلا يمكنه التغيب دون مشاجرة كبرى، ولأنه جشع كطبيعة بنى جنسه، فمن المنطقي أن يكون المال هو السبب الرئيسي لتلك المشاجرة، والتي دفعته للتَّغَيُّب عمدًا"

ضحك كبير المفتشين براون إعجابًا بتلميذته النجيبة، ثم سألها باهتمام: "ما رأيك هل نتحدث مع مكميلان أم جيرالدين؟، لاحظي أني لم أسألك إن كان جرهام قد فعلها أم لا؟"

ابتسمت قائلة: "سيدي هذا سابق لأوانه، وأرى أن نطلب التقرير الفني لما حدث قبل استجواب أحدهما"

هز كبير المفتشين رأسه بالموافقة، وأشار للجندي الواقف بالباب، وأمره بأن يحضر التقرير الفني من الخبراء حالًا، فانطلق لتنفيذ المهمة.

دخل جيمس حاملًا التقرير بعد عشر دقائق، فقطب كبير المفتشين جبينه غاضبًا، بينما امتلأ وجه سارة بالبشر عندما همس لها قائلًا: "مرحبًا مجددًا يا قطتي"

لم يتمالك السيد براون نفسه، فقال بانزعاج: "لم يكن هناك داعٍ لقدومك، يكفينا التقرير لنفهم كل شيء"

ابتسم جيمس محاولًا امتصاص غضبه، ثم أتبعها بقوله: "سيدي كبير المفتشين أعلم سر غضبك، فسيادتكم ترى أني وسارة لا نحترم العمل حيث أننا نتعامل بشكل غير رسمي أثناء العمل، ولكني أعدك أن نتعامل بشكل رسمي من الآن وصاعدًا، رجاءً لا تغضب مني يا سيدي"

زفر السيد براون ليهدء نفسه، ثم قال: "أعلم أنكما تعتبراني من المدرسة القديمة في التعامل، ولكن سارة تعلم أني أعاملها كابنتي"

ابتسم جيمس له، وهو يمنحه نظرة ذات مغزى خاص، فأشاح الآخر وجهه متبرمًا، هنا تدخلت سارة قائلة، وهي تبتسم لجيمس دون أن يراها السيد براون: "دكتور برود هلا أطلعْتَنا على التقرير من فضلك"

مد لها يده بالتقرير، فتناولته برشاقة لا تتناسب مع سرعة التهامها لكلماته، في حين حاول جيمس النظر في عيني كبير المفتشين الذي أخذ يطالع النافذة باهتمام غير مبرر في محاولة يائسة للتهرب منه.

ـ" هذا بشع"

هتفت سارة مما دفع براون للنظر إليها متسائلًا، وجيمس يتراجع للخلف فزعًا، فأجابت باشمئزاز: "لقد تم إبدال إحدى أسطوانات الروائح العطرية التي توضع مع الهواء العائد لوحدات مناولة الهواء الخاصة بالتكييف المركزي، بأخرى مطابقة لها شكلًا، ولكنها ممتلئة بغاز الخردل، وقد وجدت هذه الأسطوانة فارغة في محل تركيب أسطوانات الروائح العطرية، هذا يعني أن من أبدل هذه الأسطوانة أن لم يكن مختصًا بتركيبها لم يكن يعلم بموعد إبدالها"

قال جيمس بشكل تقريري: "إن إحضار تلك الأسطوانات وتركيبها من اختصاص فني التكييف، ولأنه لا يوجد وقت ثابت لإدخالها، فهو يقوم بإبدالها فور فراغها، ولقد انتهت الأسطوانة العطرية قبل موجز منتصف الليل بدقيقتين، فقام الفني المتواجد بهذه الوردية بتغييرها، ولقد قضت على الجميع، ومعهم هذا الفني، هذا ما ينفي التهمة عنه، ومما يؤكد ذلك أنه بمراجعة كاميرات المراقبة لوحظ أنها كانت أخر أسطوانة ممتلئة، بالمناسبة كان حجم الغاز بداخل الإسطوانة أقل من ربع حجم الغازات العطرية التي توضع عادة، وذلك حتى إذا كشفت الجريمة لا يوجد أثر للغاز في المكان، إلا أنه بالطبع ظهر جليًا على الجثث"

سأل كبير المفتشين: "هذا يعني أنه هناك أكثر من فني، ولكن ما هي اختصاصات مهندس التكييف ومهندس الصيانة بالنسبة للأسطوانات؟"

أجابه جيمس: "لا يوجد سوى فنيين اثنين فقط أحدهما متغيب، والأخر مات، أما مهندس التكييف فهو المسئول عن شراء تلك الأسطوانات، والتأكد من جودتها وصلاحيتها قبل شراءها، في حين أن مهندس الصيانة يوقع على الأوراق فقط"

التقت سارة نفسًا عميقًا، ثم قالت: "دعونا نرتب أفكارنا، لقد وقعت الحادثة بعد انتهاء موجز أنباء منتصف الليل حيث أبدلت أسطوانة الروائح العطرية قبل انتهاءه بدقيقتين بشكل روتيني من قبل فني التكييف الذي توفى كالباقين، ولأن طاقم الأمن كان في حالة سكر نتيجة احتفالهم بزفاف أحدهم، فلم يلاحظ أحد عدم خروج أى من العاملين حتى أقبلت الوردية الصباحية، وأثناء المرور الروتيني عند تسليم وتسلم ورديات الأمن وجدوا الجثث، فاتصلوا بالشرطة المحلية"

أكمل جيمس: "وبعد تفريغ آلات المراقبة لم يلاحظ دخول أو خروج أى شخص طوال الليل، كما أن نظام التهوية قام بعمله ككل يوم وفقًا لبرنامجه بتنقية الهواء بالمحطة، وبمراجعة الأشرطة عن الأيام السابقة وجدناها ممسوحة، حيث يتم كل يوم مسح الأشرطة عندما لا يحدث ما يلف النظر"

تابع كبير المفتشين كلام جيمس قائلًا: "مهندس الصيانة يوقع الأوراق فقط، ومهندس التكييف هو من يقوم بالعمل الفني الخاص بالشراء قطع الغيار والأسطوانات، والتأكد من صلاحيتها للعمل، في حين أن العمل

الفعلي من احتكاك بالأسطوانات من إحضارها من المستودع، وتركيبها، وإبدالها خاص بالفني"

قالت سارة: "أرى أن نبدأ باستجواب المهندس بيتر ماكميلان"

دخل المهندس بيتر ماكميلان الحجرة كالإعصار، وقال للسيد براون الذي تصدر الغرفة وحده باستخفاف: "كنت أظن أني سأجد كتيبة من المحققين، ولكني أجدك وحدك"

ابتلع كبير المفتشين براون هذه السخرية، وقرر أن الماثل أمامه يحتاج إلى أسلوب أخر خلاف جرهام، أشار لماكميلان بالجلوس، وقال له بهدوء، ولكن بحزم: "أن أسكتلانديارد ليست مسئولة عن تخيلاتك أو ظننوك"

ثم صمت للحظة، وعرف نفسه بلهجة ملأها بالشموخ ليبث في قلبه الرهبة: "فليب براون كبير المفتشين باسكتدلانديارد"

أخذت المفاجأة بماكميلان، مما حدا بكبير المفتشين بتولي زمام المبادرة، فسأله بلهجة مهنية لا تَخلو من الاستخفاف: "اسمك، وسنك، وعنوانك، وعملك، ومنذ متى تعمل به؟"

أجابه ماكميلان نافضًا عن نفسه تأثير براون: "اسمي بيتر ماكميلان، عمري ثلاثون عامًا، واسكن بالمنزل رقم خمسة المقابل للمحطة، وأعمل مهندس تكييف هنا بالمحطة منذ عامين"

ازدرد لعابه، ثم أكمل بهدوء يتناقض من عصبيته التي اقتحم بها المكان، ولا تتناسب مع ما يبوح به: "لقد تشاجرت مع رئيس المحطة منذ يومين، ولذلك تغيبت عن العمل أمس واليوم"

حان الدور على كبير المفتشين لتأخذه المفاجأة حتى أنه لم يستطع إخفاء معالم الدهشة عن وجهه، وهو يقول له: "أرى أنك تتسم بجرأة تحسد عليها سيد ماكميلان"

هز ماكميلان كتفيه بلا مبالاة، وهو يرد: "كنت ستسألني عن تغيبي على كل حال، كما أني رجل صريح، ولم أفعل ما يستوجب الخوف"

تمالك كبير المفتشين نفسه، وسأله بجدية: "ما هو سبب المشاجرة؟"

أجابه ببساطة: "لقد غضب بشدة عندما علم بزواجي من ابنته هيلين دون علمه، وأننا ننتظر طفلًا"

صعق الجواب السيد براون الذي كرر إجابته بصوت خفيض: "تزوجت ابنته دون علمه، وتنتظر مولودًا"

قال ماكميلان مؤكدًا: "أجل، لقد أحب كل منا الآخر بقوة منذ تقابلت أعيننا، وحاولنا مرارًا أن نأخذ موافقته على زواجنا إلا أنه رفض بشدة، وعمل على سفر هيلين إلى ألمانيا بدعوة الدراسة، ولكن لم تنقطع صلتنا ببعض."

ابتلع لعابه، ثم أكمل: "منذ ستة أشهر عادت هيلين دون علم أبيها، متخذة اسمًا مستعارًا، ثم تزوجنا في كنيسة بأيرلندا، ثم عدنا إلى منزلي هنا، وقبلت بأن تحبس به حتى لا يراها والدها"

ثم زفر بضيق، وأتبع: "غير أنه رأها منذ يومين، وجن جنونه عندما شاهد بطنها المتكور، فنشب بيننا شجار عنيف على أثره تركت العمل، وها أنا ذا أبحث عن عمل آخر لأعيل أسرتي"

كان كبير المفتشين يتابع حديث ماكميلان وهو مذهول حتى أنه ظل صامتًا حتى بعد فراغ ماكميلان من حديثه، مما استدعي تدخل سارة همسًا عبر سماعة الأذن قائلة: "سيدي اسأله عن إخفاءه زواجه كل هذه المدة على الرغم من جسارته البادية من صوته"

تمالك السيد براون نفسه، وسأله بفضول: "أرى يا سيد ماكميلان أنك رجل شجاع حقًا، فلقد أخبرتني عن كل شيء دون سؤال، ولكني لا أفهم كيف برجل جسور مثلك يخفى زواجه ستة أشهر كاملة؟"

زفر ماكميلان بضيق، وأجاب بنزق: "كان هذا طلب هيلين، فهي على يقين من أن والدها إذا علم بزواجنا سيفعل ما بوسعه ليفرقنا حتى لو أضطر لقتلي، فهو يراني غير كفء لابنته، فنزلت على رغبتها بمضض بعد أن استحلفتني بدموعها الجياشة، غير أن اختفاءها أثار قلق والدها، فعمد إلى استأجر مخبر سري، والذي أطلعه على كل شيء، فأقبل إلى داري منذ يومين، وما أن فتحت له الباب حتى أزاحني بقوة مناديًا على

هيلين، ثم عنفها بقسوة وكاد يضربها ببطنها، لولا تدخلي فسبني، وأهانني وبالطبع طردني من العمل، فصرخت بوجهه أنني لا أهتم إلا بهيلين وطفلنا، فترك المنزل وهو يهدد بسوء المصير، هذا ما حدث"

سأله السيد بروان بفضول: "وهل تملك أدني فكرة عن سوء المصير الذي وعدك به؟"

ضحك ماكميلان، ثم قال بضيق: "بالطبع لقد جعلني عاطلًا عن العمل كمهندس تكييف في سائر انجلترا قبل أن يخطو داخل بيتي بقدميه، هذا ما قاله قبل أن يغادر متوعدًا بالمزيد من الأذى، ولقد تبدى ذلك في الرفض على طلبات العمل التي أرسلتها بالإيميل لبعض الشركات المعلنة عن حاجتها لمهندسي تكييف ما أن أرسلها"

أطلق ضحكة مريرة، ثم أردف بألم: "لذلك لم أكمل محاولاتي العبثية في البحث عن عمل كمهندس، فعلاقات حماي أقوى مما يعرفه الجميع، واضطررت لاستجداء صاحب المتجر المواجه لمنزلي ليجد لي عملًا عنده حتى تهدأ ثورة والد هيلين، فقبل مشكورًا"

رفع السيد براون حاجبيه متعجبًا، فاغتصب ماكميلان ضحكة جوفاء، ثم قال بنبرة تقريرية: "سيدس كبير المفتشين أن والد هلين عاجلًا أو آجلًا سيهدأ، فهو يحب الأرض التي تطأها قدمي ابنته الوحيدة، كما كان يحلم بحمل حفيده بين ذراعيه، وعلى الرغم من عصبيته المبالغ فيها، فهو رجل طيب وسيتقبل الأمر"

ثم نظر إلى عيني كبير المفتشين، وقال بنبرة صادقة: "صدقني يا سيدي فأنا وهو نحب بعضنا ولكن كل منا على طريقته، لا تنسَ أنه عمل على سفر هيلين ولم يعمد إلى طردي من عملي، أن ما حدث ما هو إلا زوبعة في فنجان"

-"هذا الماكميلان برئ"

قالها كبير المفتشين بقوة في وجه سارة التي ابتسمت بإجهاد، وهي تقول: "أرى يا سيدي أنك تسرعت بالحكم دون أن تستجوب المشتبه به الثالث"

-"سارة، إنه رجل شهم شجاع"

أكد السيد برون، هزت سارة كتفيها بدوء، ولم تقل شيئًا مكتفية بجلسة استرخاء على الأريكة المقابلة لرئيسها، ضحك السيد براون بحنان أبوي، ثم قال ممازحًا: "تحتاجين روب ديشمبر، وغليون وتصبحي شارلوك هولمز"

ابتسمت سارة بإرهاق، وهي تقول: "لا يمكن أن أكونه، فأنا أمقت الدخان بشدة، كما أني لا أحب من يرتدون الروب الديشمبر"

وقبل أن يرد عليها السيد براون طرق جيمس الباب بهدوء، ثم دخل بعد أن أُذن له، ثم قال: "لم أستطع أن آكل دونكما، فأحضرت بعض الطعام والعصائر"

وأتبع قوله بوضع ما يحمله على المنضدة، لم تنتظر سارة ردة فعل كبير المفتشين السيد براون، بل قامت من مجلسها، وتوجهت حيث الطعام،

وبدأت في دسه في فمها بسرعة، ابتسم لها جيمس بحب، بينما أجبر تصرفها السيد براون على القول بضجر: "أنا ممتن لك دكتور برود"

ابتسم جيمس بمكر، وهو يقول: "على الرحب والسعة دائما سيدي كبير المفتشين"

ثم قام بإعطاءه حصته من الطعام والعصير، ثم جلس بجوار سارة، وبدأ بسكب بعض العصير لها في كوب بلاستيكي، وفتح لها قنينة مياه، وفتح علبة طعامه مقدمًا إياه لها.

ازدردت سارة ما بفهما من طعام، فدمعت عيناها، وقالت بأسى: "لا يا جيمس، أنا لن أكل طعامك، يجب أن تأكل أنت إيضًا"

ثم تركت الطعام، ووضعت يديها أمام صدرها مديرة ووجها إعتراضًا، ضحك جيمس، وقال لها مناشدًا: "حبيبتي سارة، دعينا نتشاركه سويًا"

التفتت له محدجة نظراتها، فأكمل: "سآكل لا تغضبي هكذا، أترين"

ووضع ببعض الطعام في فاه، فضحكت سارة، ثم عادت تأكل بحماس، في كان جيمس يلوك طعامه ببطء وهو يتأملها بحنان، ثم قال بعاطفة جارفة: "ستظلين كما أنتِ يا سارة، لن تكبري أبدًا"

رفعت رأسها إليه، وسألته باهتمام: "جيمس أتريدني أن أكبر؟"

ضحك جيمس من قلبه، وأعطاها بعضًا من السلطة، وهو يجيبها: "كلا بالطبع، فأنا أريدك كما أنتِ يا صغيرتي"

قاطعهم السيد براون بضيق قائلًا: "أنهي طعامك يا سارة لنحقق مع جيرالدين، يكفي إضاعة للوقت"

ابتلعت سارة ما في فمها بسرعة، ثم قالت: "لقد أنهيته يا سيدي"

ابتسم لها السيد براون، بينما همس لها جيمس وهو يلملم بقايا الطعام: "لم يعد هناك طعام، فأنتِ تأكلين كالوحش، وتزدادي نحافة"

نظرت له سارة بغيظ، وقالت له من بين أسنانها: "سترى يا جيمس، ولكن بعد الانتهاء من هذه القضية، سترى"

ضحك جيمس بخفة، وانسَلَّ هاربًا بحمله بعدما رأى الشرر يقدح من عينيها.

بعد ربع ساعة دخل جيرالدين، وهو متمالك لأعصابه بدرجة يحسد عليها، كأنه أقبل لتسلم بعض الأوراق، وليس لتحقيق معه في جريمة قتل جماعية، نظر له كبير المفتشين يقيمه، فوجد على الرغم من مظهره المتماسك كانت يداه تنضحان بالعرق الغزير دلالة على توتره، أشار له ليجلس قبالته، وهو يقول: "مايكل جيرالدين كما أعتقد"

هز جيرالدين رأسه موافقة، وهو يقول: "أجل يا سيدي، كما أني الفني الثاني الخاص بأعمال التكييف المركزي"

سأله السيد براون بطريقة روتينية ملولة: "لنبدأ التحقيق، اسمك، وسنك، وعنوانك، ووظيفتك، ومنذ متى تعمل بها؟"

أجابه جيرالدين بسرعة: "مايكل جيرالدين سميث، أبلُغُ من العمر خمسة وعشرون عامًا، وأسكُنُ بضاحية....، وأعمل فني تكييف هنا منذ شهرين فقط"

هز السيد براون رأسه، وقال: "هذه أسئلة روتينية كما تعلم، ولكني أسأل عما دعاك للتغيب بالأمس"

أجابه بشكل أسرع لافِتٍ للانتباه: "كنت متوعكًا"

ابتسم كبير المفتشين، وقال بشيء من السخرية: "أرى أنك كنت متوعكًا مثل السيد جرهام، والذي اتَّضَحَ أنه تشاجر مع مالك المحطة"

امتعض جيرالدين، وقال بقرف: "أنا لست مثل هذا الجبان الرعديد الجشع"

ثم تمالك نفسه، وأردف: "أنا مستجد هنا، ولا أعرف أحد هنا حتى أتشاجر معه"

ضحك كبير المفتشين، ثم سأل باستخفاف: "غريب.. كيف لا تعرف أحد هنا، وتصف جرهام بتلك النعوت؟."

ابتسم جيرالدين بتهكم، وأجابه: "أن اليهود كلهم على شاكلته، وهذا لا يحتاج إلى ذكاء أو طول مدة لتعرف ذلك"

تجاهل كبير المفتشين هذه النقطة، وسأله بجدية: "أين كنت تعمل قبل عملك بالمحطة؟، وكيف التحقت بالعمل هنا؟"

رد جيرالدين: "كنت أدرس وأعمل في هامشير حيث تعيش والدتي، أما عن كيفية التحاقي بالعمل هنا، فلقد أعلنت المحطة عن حاجتها لفنيين للعمل في أعمال التكييف المركزي، وتقدمت لها، وتم قبولي"

لم يجد السيد براون ما يسأله عنه، ففكر في صرفه غير أن سارة تدخلت عبر سماعة الأذن قائلة: "سيدي اسأله عن والده، فيبدو أنه بلا أب"

التفت السيد براون لجيرالدين، وسأله بشكل مفاجئ: "وماذا عن والدك سيد جيرالدين؟"

بهت جيرالدين من هذا السؤال غير المتوقع، وسأل بخفوت: "وما علاقة والدي بما نحن بصدده؟"

استغل كبير المفتشين الوضع، وقال بسرعة: "أخشى أن اسم "سميث" يُطلَقْ على كل من ولد خارج إطار الزواج في الفترة التي ولدت بها"

رد عليه بضعف: "أجل كلامك صحيح"

ثم اعتدَلَ وقال بصوت عادي: "ولكن ما علاقة ذلك بجريمة القتل؟"

صمت السيد براون مستنجدًا بسارة التي أقبلت هذه المرة تحمل بيدها جهاز حاسوب محمول لا ترفع عينيها عنه، وهي تسأله بقسوة: "لمَ قتلت جميع العاملين؟ كان يكفيك قتل والدك مالك المحطة"

ذهل كبير المفتشين، بينما اتسعت عيني جيالدين وسارة تكمل: "السيد مايكل سميث من مواليد هامشير مسقط رأس صاحب القناة"

جلست سارة مقابلة له، وهي تقول: "عشت حياة بائسة، وقد ألقي القبض عليك لسرقة متجر، وأنت بالعاشرة لتحضر الدواء لوالدتك المريض، وهذا ما دفع صاحب المتجر للتنازل عن شكواه ضدك، ولكن والدتك لم تتحمل كل ما حدث وتوفيت قبل إطلاق سراحك، أشفق عليك صاحب المتجر، وتبَنَّاك ليعطيك اسمه جيرالدين، فأصبحت مايكل جيرالدين سميث، هذا جعلك ناقمًا على والدك الحقيقي، فسعيت لانتقام منه عبر التحاقك بالعمل هنا لتقتله، أليس كذلك؟"

رد مايكل بتحدٍ: "كلامك صحيح في مجمله، ولكن ما دليلك على أني قتلت والدي؟"

بادلته سارة التحدي، وهي تقول: "لأنك تشاجرت معه أمس صباحًا أمام منزله، فلقد رأك بعض الجيران تهدده"

اعترَفَ مايكل قائلًا بغل وحقد دفين: "أجل قتلته كما قتل أمي، لا تتعجبوا فقد كان هو وأمي عاشقين حتى دخلت والدة هيلين في حياته، وأغرته بالمال، فهجر أمي وتزوج بتلك الثرية، تاركًا لأمي العوز والحاجة، نمت أعماله، وكلما زاد غنى كلما تناسى الماضي بكل من وما فيه، لم تيأس أمي على الرغم من عدم سؤاله عنها، فأرسلت له تعلمه بحملها، فلم يعيرها اهتمامًا، وعندما ولدت أرسلت إليه صورتي تترجاه أن يأتي ليراني، ويحدوها الأمل أنه ربما أشفق عليَّ، وأنا البضعة منه، فينتشلني من الفقر، غير أنه نهر حامل الرسالة، وهدده بإبلاغ الشرطة عنه وأمي

ليلقيهما في غياهب السجون، عانت أمي كثيرًا، فقد عملت في كل المهن الوضيعة حتى تتكسب بعض لقيمات تسكن جوعنا لبضع ساعات حتى تكالب عليها الهم والحزن والمرض لتسقط طريحة الفراش لثلاث أيام، ثم ماتت، قبل وفاتها اعترفت لي بكل شيء، بعدما تبناني السيد جيرالدين حاول تعويضي عن فقدي لوالدي حتى أني تناسيت يتمي، غير أن هذا الأب البيولوجي الذي أملكه لم يكتفِ بحرماني من أمي وتدمير طفولتي، ولكنه أصر على تدمير مستقبلي، فقد قدم إلى بلدتنا مدعيًا أنه سينهضها أقتصاديًا بأحد مشاريعه، وأستغل نفوذه، وهدم متجر السيد جيرالدين ليني مشروعه، وألقى له بضع جنيهات كتعويض لا يساوي ربع ثمن المتجر لتقتله الصدمة، لأصبح وحيدًا بهذا العالم القمئ، فأثرت على نفسي بالثأثر لأمي والسيد جيرالدين، لقد قتل هذا المسخ كل من أحب بأبشع الطرق"

التقَتْ عينيه بعيني سارة التي هاجمته بشراسة: "ولكن لما قتلت جميع العاملين هنا؟، فإن أذنب والدك، فبماذا أذنب الجميع لقتلهم بتلك البشاعة؟"

رد عليها ببرود: "ولماذا أهتم بهم، ولا أحد أهتم بي أو بأمي أو بالسيد جيرالدين؟"

ألقى الجنود القبض على جيرالدين الذي استسلم لهم، وعلى وجهه علَتْ ملامح الرضى والسلام النفسي، وأقبل جيمس وكبير المفتشين يهنئان سارة على نجاحها، سألها جيمس عن كيفية حلها للقضية، ابتسمت سارة بتعب، وأجابتها مازحة: "أعمل خلايا عقلك الرمادية يا جيمس"

ضحك، وبادلها المزاح بقوله: "عزيزي مسيو بوارو أرجوك أطلعنا على كيفية إجلاءك لسر القاتل"

ضحك الجميع، ثم قالت سارة شارحة بهدوء: "لقد انحسرَتْ القضية منذ البداية في ثلاث أشخاص، وهم جرهام وماكميلان وجيرالدين فقط لأن ثلاثتهم تغيبوا عن العمل عند وقوع الجريمة، ولكن اتضح أن ثلاثتهم تشاجروا مع مالك المحطة، كما أن ثلاثتهم له صلة بكيفية القتل"

ازدردت لعابها، وهز كبير المفتشين رأسه لها مشجعًا، فأردفت: "وعند استجواب جرهام تجلى مدى خسته وحقارته وجشعه غير أن هذا لا يكفي ليقتل مالك المحطة، فهو كيهودي عاشق للمال وملك للجبن، كما أنه سيقطع مورد رزقه بدلًا من زيادته، إلى جانب أنه ليس له احتكاكًا مباشرًا بالأسطوانات، فهو يوقع على الأوراق فقط، لذلك استبعدته مؤقتًا"

ثم نظرت إلى جيمس الذي منحها ابتسامة مشجعة، فأكملت: "نأتي إلى ماكميلان"

قاطعها السيد براون بحماس: "لقد أخبرتك أنه بريء بعد التحقيق معه" نظرت له سارة مبتسمة، وقالت بوقار: "أجل يا سيدي أذكر، ولعل رأيك هو أهم سبب لاستبعادي له، إلى جانب أنه شخص شريف وصادق وشجاع، وهذه الصفات لا تتفق مع شخصية القاتل الذي يتسم بالخسة واستخفافه بالنفس البشرية، فقتل جميع العاملين بتلك الطريقة يدل على خلل نفسي في شخصية القاتل، لذلك ماكميلان لا يصلح أن يكون القاتل، نأتي لجيرالدين، والذي ما لفت نظري إليه هو ثبات جنانه في التحقيق بشكل يحسد عليه، كما أن إجاباته الأولى كانت تتسم بجهوزية كأنه تمرن عليها لفترة طويلة، كما أن اسم سميث اسم نادر لا يستخدمه كثيرون، ولقد لاحظت سابقًا أنه كان يسمى به الأطفال المولودين خارج إطار الزواج، فأخذت ابحث وراءه حتى وجدت حادثة السرقة، فقررت مواجهته ليعترف، وأعترف أني بحثت عن تاريخ حياة صاحب المحطة، كما بحثت عن الأحداث التي مرت بيوم أمس وخاصة المشاجرات والخلافات لَعَلِّي أهتدي إلى شيء، وبربط كل ما حصلت عليه واجهت جيرالدين باستنتاجي، فاعترَفَ دون مقاومة، ويبدو أنه غير نادم على فعلته، غير أن بقية من ضميره تريد له المحاكمة حتى تقتص أرواح من قتلهم منه، فاستهتاره بالحياة البشرية وليد الانتقام، وليس طابعًا فيه"

بعد أن انتهت سارة من كلامها ظهر الباب البني، وفتح لتطل منه أجاثا كريستي التي قالت بوقار: "أخشى أنني انتهَيْت، وعليكِ العودة معي"

ابتسمت فرح، ووقفت تودع كبير المفتشين براون الذي صافحها، ثم أشاح بوجهه بعيدًا حتى لا يبكي، استدارت إلى جيمس الذي وقف أمامها ليمنعها من الرحيل، وهمس بحزن: "سارة أرجوك"

قاطعت أجاثا كلامه قائلة: "علينا العودة الآن"

قالت فرح له بحزن: "أسفة جيمس عليَّ أن أعود معها"

ثم تخطته، وهي منكسة الرأس، ومشيت وراء أجاثا، وأغلق الباب خلفها، واختفى، بمجرد ما خطت فرح عتبة الباب حتى عادت كما كانت، وقابلها مسيو بوارو، والآنسة ماربل، والمفتش باتل بالترحاب والتصفيق حيث بادرها الأخير بقوله: "لقد رفعتي رأسي عاليًا، لقد أعدتي لأسكتلانديارد سمعتها القوية، وريادتها، تهانياتي الحارة"

قالت الأنسة ماربل بود: "أنكِ حقًا بطلة أجاثا كريستي الرابعة، وقد سعدت بأنك عدلت من كفة النساء هنا، فأصبحنا متساوين مع الرجال"

تنحنح مسيو بوارو، ثم قال: "تهانيَّ عزيزتي لقد أجادت خلاياكِ الرمادية العمل، ولكنها أقل كفاءة من خلاياي"

ضحكت فرح من كلمات مسيو بوارو، ونظرت له ممتنة، وقالت: "كانت مغامرة رائعة، لقد أحببتها، ولكن"

هزت الأنسة ماربل رأسها بوقار، وهي تقول: "أعلم لقد أحبك السيد براون ورأى في جيمس منافسًا له في قلبك، ولقد لاحظ جيمس ذلك، أنه يتذكرني بما حدث في قريتي سانت مري ميد منذ قرون من الآن حيث أحب السيد هيثكليف ربيبته، وقد قتلته الغيرة عليها من خاطبها جون، فأراد قتله، فهربت مع جون وتزوجا وأنجبا أطفال"

نظرت فرح للأنسة ماربل باندهاش، فأتبعت الأولى: "أن سارة لم تخطب لجيمس حتى الآن، ولكن سيفعلا قريبًا، وسيزوجا، لا تشعري بالأسى على السيد براون، فهو لا يرى حقيقة أن الشباب للشباب"

ابتسمت أجاثا كريستي، وقالت ممازحة: "كنتِ رائعة يا عزيزتي، ولكنكِ لن تكوني كالآنسة ماربل"

ضحكت فرح، وقالت: "ذلك لأني لم أذكر حوادث مشابهة، فهذا يخصص الأنسة ماربل دون غيرها، وأردت أن تكون دائمًا متفردة"

صمتت لبرهة، ثم قالت بحزن: "يجب أن أرحل"

هزت أجاثا رأسها تفهمًا، وأكدت: "أجل أظن ذلك"

ودعها المفتش باتل بتحفظه الإنجليزي المعهود، في حين قالت لها الأنسة ماربل بحب: "أتمنى أن نراكِ مرة أخرى"

تقدم إليها مسيو بوارو، وانحنى لها، وهو يقول: "سنفتقدك يا عزيزتي، وأتمنى أن تعودي إلينا سريعًا"

هزت رأسها لهم بحب، ثم تقدمت إلى باب الخروج ذو دوامة قوس قزح، وحانت منها التِفاتة، فسمعت بوارو يقول: "أنا أستحق أن أكون بطل الرواية القادمة"

واستعرت المشاجرة كأن فرح لم تدخل الغرفة إطلاقًا.

بخروج فرح من الباب وجدت أجاثا كريستي تستقبلها، وبين يديها الهرة الصغيرة التي تنظر إليها برقة وتموء بهدوء قبل أن تقفز إلى ذراعيها لتستقر أخيرًا على كتفها الأيسر.

ابتدرتها أجاثا مرحبة: "عودًا حميدًا، لقد غبتي كثيرًا، لقد حان موعد الشاي"

اعتذرت فرح بهدوء مشوب بالحزن، وهي تحاول الابتسام: "أعتذر عن تأخري، ولكن المغامرة كانت مشوقة، قصتك كانت رائعة كالعادة"

ابتسمت أجاثا، وقالت: "أوه يا عزيزتي، كم أسعدني أنها أعجبتك، ولكني أراكِ حزينة"

ردت فرح: أجل لقد أحببت الجميع، ولقد حزنت لأنهم عادوا للتشاجر مرة أخرى"

ثم نظرت لأجاثا بتعاطف، وأردفت: "إنني لأشعر بالإشفاق عليكِ"

ابتسمت أجاثا بود، وقالت ببساطة: "هذه حياتي، وأنا ممتنة لكِ كثيرًا"

اقتربت جلاديس منهما لتخبرهما بأن شاي الخامسة عصرًا جاهز، فسألت أجاثا فرح عن أي المكانين تفضله لتناول الشاي الشرفة أم الحديقة، فاختارت الشرفة، تقدمتهما جلاديس إلى الشرفة، وهي تحمل

بين يديها صينية الشاي، ومن خلفها أجاثا، وأخيرًا فرح تحمل على ذراعها الهرة التي تموء مع حركة يد فرح المداعبة خلف أذنها.

جلست فرح تراقب شمس الخامسة التي تودع الشرفة، بينما كانت عيني أجاثا تراقبها، وهي تحتسي الشاي بهدوء، برقة بالغة كانت فرح تداعب أذنَيْ الهرة التي كانت تموء بحب في تناغم من المشاعر الدافئة التي تجمعهما، احترمت أجاثا صمتها الذي طال حتى انتهت أجاثا من شرب ما بفنجانها، فتنحنحت، ثم قالت بهدوء: "أتحبين مغيب الشمس، أم أن هناك ما يشغلك يا عزيزتي؟"

التفتت لها فرح، وقالت برقة: "أنا أعشق غروب الشمس"

صمتت برهة، وأردفت وهي تشعر أنها بحاجة لتوضيح سبب ذلك: "أشعر أن الشمس عند مغربها تحدثني، وتعدني بأنها ستعود إليَّ غدًا، وأنها على عهدها معي دائمًا"

ثم عادت بنظرها إلى الشمس الغاربة، تأملتها أجاثا برهة، وقالت متأملة: "وجهة نظر جديرة بالاحترام، هذه أول مرة أسمع هذا التحليل، فالكل يحب شروق الشمس ويبغض غروبها"

قالت فرح، وهي تراقب أشعة الشمس المنسحبة: "لأنهم يرون أن شروقها على أنه الأمل، وغروبها يأس، ولكني أراها صديقتي الوفية"

ثم التفتت لتلتقي عَيْناها بعيني أجاثا، وأردفت: "إنها المخلوق الوحيد الصادق الوعد"

ابتسمت لها أجاثا بضعف، وتدثرت بالصمت، وتركت عينيها تستمتع بالمشهد الرائع لغروب الشمس من أمام ناظريها.

..*.*.*

كان الجميع يشاهد الشاشات، والذهول يستولي عليهم مما تراه أعينهم، أول من استعاد نفسه هو مصطفى، والذي قال لهم، وهو يراجع أجهزة القياس المرتبطة بجسد فرح: "أنها تعيش ما تراه فعليًا، انظروا إلى المؤشرات أنها في حالة من الاسترخاء"

ثم نظر إلى فرح الفاقدة الوعي، والتي تعيش في عالمها بعاطفة خاصة لم ينتبه له أحد، مع كلمات مصطفى تمالك الجميع لأنفسهم، وبدؤوا بالتعليقات.

-"هذا شيء مذهل" قال محمد مندهشًا

قال دكتور سليم: "إنها حالة نادرة، لا بل متفردة لم أرَ مثلها من قبل، إن غيبوبتها ترينا عالمًا متكاملًا متسلسلًا لا يمكن وصفه بالحلم، إننا نشاهد أغرب غيبوبة في التاريخ"

التفت دكتور وجدي إلى ابنه، وشاهده ينظر إلى فرح بحزن لا يخفي عاطفته الجياشة، فتظاهر بأنه لم يرَهُ، وقال موجهًا كلامه لدكتور سليم: "يا ترى متى ستستيقظ من غيبوبتها تلك؟، أخشى عليها أن تحبس في ذلك العالم إلى الأبد"

هتف مصطفى بخوف لم يستطع إخفاءه: "كلا مستحيل لن نظل هكذا إلى الأبد"

التفت الجميع إليه مشفقين، غير أن كلام دكتور سليم جذبهم حيث قال بتأنٍّ، وهو ينتقي كلماته بعناية: "لا أظنها ستبقي في هذا العالم إلى الأبد، ولكن لست أدري ما هو العلاج المناسب الذي سيساعدها على العودة إلى عالمنا"

أطرق الجميع ساكتين، إلا أن مصطفى قطع الصمت بقوله بحماس: "إنها تعلم بأننا نراها.. إنها تشعر بنا"

تدخل محمد وبنفس الحماس: "أجل أتذكر قول أجاثا كريستي لها بأننا نتابعها"

ثم سأل بتعجب: "ولكن بماذا سيفيدنا هذا؟"

قال دكتور وجدي متأملًا: "دعونا نتابعها، فلربما أعطتنا بعض الإشارات التي تساعدنا على إخراجها من هذه الحالة"

ثم التفت إلى دكتور سالم، وسأله: "ألا ترى معي ذلك؟"

أجابه وهو يهز رأسه مؤيدًا: "أجل أنا أوافقك تمامًا، وهذا يستلزم مراجعة ما قمنا بتسجيله، إلى جانب متابعة ما يدور بعقلها حاليًا، ولهذا أرى أن نكون فريقين الأول بقيادة دكتور محمد لمراجعة ما تم تسجيله، وتحليله، ومحاولة الاستفادة منه، واستخلاص ما يساعدنا على

علاجها، والفريق الثاني بقيادة دكتور مصطفى لمتابعة المستجدات وتسجيله ومحاولة استخلاص ما قد يفيدنا"

هز الجميع رؤوسهم، وقسموا أنفسهم لفريقين، لينطلق محمد بفريقه إلى الغرفة المجاورة، ووقف مصطفى يتأمل فرح المستكينة، وهو يسأل نفسه: "يا ترى ماذا بعد؟"

قفزت الهرة من بين يدى فرح إلى الأرض بجانبها، وهي تموء بقوة لفتت انتباه فرح وأجاثا، بينما ارتسمت الدهشة على ملامح الأولى أجابتها الثانية قبل أن تسأل: "أنها تخبرنا بأن علينا أن نكمل جولتنا داخل القصر، فأنتِ لم تشاهدي شيئًا بعد"

قالت فرح والبسمة تزين شفاها: "أجل معه حق، فأنا لم أرَ سوى غرفة واحدة تخصك يا عزيزتي، ولقد استمتعت كثيرًا، ولكني أتساءل هل هناك غرف أخرى بروعة غرفتك؟"

ضحكت أجاثا بقلب صافٍ، ثم قالت: "أوه يا عزيزتي بالتأكيد لديكِ غرفًا رائعة تحتاج إلى أن تشاهديها بنفسك، هذا القصر رائع بحق"

سألتها فرح متصنعة التقطيب: "هل يمكنني العودة ثانية إلى غرفتك؟، فأنا أريد رؤية المزيد من إبداعاتك"

ابتسمت أجاثا، وقالت بحرج: "أخشى أنني غير راغبة في ذلك"

نظرت لها فرح مندهشة، فأكملت: "لأنه من الظلم أن أحرمك من متعة مشاهدة باقي الغرف، كما أن غرفتي قد أغلقت مؤقتًا حتى تنتهى من باقي الغرف"

قالت فرح باستسلام: "أن كانت هذه رغبتك، فلا بأس"

أصدرت الهرة مواء عاليًا، ثم تقدمتهما إلى خارج الشرفة، وهما خلفها حتى وصلوا إلى الردهة الموصلة للغرف العشر، قالت لها أجاثا: "هيا يا عزيزتي فلتختاري أحد الأبواب التسع الباقية"

سارت فرح في الردهة تنظر إلى الأبواب بلا اكتراث، حتى لفت انتباهها بابًا أسود اللون كتب عليه بحروف لاتينية، ولكن بزخرفة عجيبة، فيما يعني (الحفلة)، كانت الكتابة بلون دامٍ مشتعل، ونقوش غريبة ذات سحر خاص تأسرها، فتوقفت أمامه مشدودة لبرهة، ثم التفتت إلى أجاثا، وقالت وكأنها مسحورة: "سأدخل"

سألتها أجاثا بجدية: "هل ترغبين بذلك حقًا؟"

هزت فرح رأسها إيجابًا، فقالت لها أجاثا والهرة تتقدم فرح إلى الغرفة: "أخشى أن فيروزة تريد الذهاب معك"

سألتها فرح بقلق: "أهناك خطر عليها؟، ألا يمكنك منع هرتك من الذهاب؟"

نظرت لها أجاثا باستغراب، وهي تقول بعجب: "فيروزة هى هوريرتك أنتِ، وأنتِ مَن بحاجة إليها في رحلتك هذه"

ثم قالت والهرة تفتح الباب بدفعة من رأسها: "هيا إلى الحفلة"

ما إن خطَّت بقدمَيْها داخل الغرفة حتى اختفى الباب، وتحولت إلى فتاة فارعة الطول، نحيفة بشدة، سوداء الشعر يصل إلى خصرها يتموج برقة حول رأسها، ذات عينان عميقتان سوداوتان، كأنهما بئر لا قرار

له، يأسران الناظر إليهما حتى أنه يطوف في فَلَكِها دون فكاك، أما بشرتها فهي بيضاء شديدة الشحوب والشفافية حتى أن مسارات الدم تُرَى بوضوح، ترتدي فستان سهرة أسود زاد بشرتها شحوبًا، أما فيروزة فتحولت إلى قطة سوداء كليل بلا قمر، وذات عينان خضراوان تشعان باستمرار ضوءًا برتقاليًا.

سارت بهدوء أرستقراطي وبجوارها قطتها في تجاه القصر الجاثم في صدر غابة شديدة الظلمة، ولا داع للإسراف في وصفه، فيكفينا أن نقول أنه قصر قوطي بمعنى الكلمة، برعبه المميز، كانت الليلة حالكة لا ضوء ينيرها سوى تلك الصادرة عن مشاعل القصر، والتي تشع ضوءًا دمويًا ملتهبًا مميزًا، ارتقت سلالم القصر بثقة المدعو إلى ذلك الحفل حتى وصلت حيث حارسي الباب، فبادرها أحدهما مستفسرًا عن اسمها ليعلنه إلى الجميع، فأجابته بصوت رقيق خفيض منغم: "الكونتيسة فلورنسيا" تعجبت فرح من أين لها أن تعرف من هي؟، وما الدور الذي ستلعبه؟، لكنها علمت الإجابة، فما أن تلج الباب حتى تندمج في الأحداث كأنها جزء منها، نُسج في الحكاية منذ أن غزلت حروفها، قاطع تعجبها صوت الحاجب المرتفع الذي يعلن قدومها، اعتدلت لتمر من جانبه إلى داخل ممر المرايا، والذي سمى بممر التحقق، رصت على جدرانه مجموعة مختلفة من المرايا ذات الأطر والأحجام المختلفة، فالمرآة اليمنى ذات الأطار الأصفر كتب على قمتها بحروف لاتينية حادة (مرآة الحقيقة)،

وهي التي تظهر الشكل الحقيقي للمار أمامها، بمعنى أدق تكشف التنكر، المرآة اليسرى الضخمة التي تحتل الجدار الأيسر بأكمله ذات أطار أزرق زهرى كتب عليها بحروف لاتينية مائلة (التاريخ)، فهي تعرض تاريخ حياة المار من أمامها، أما المرآة الصغيرة ذات الإطار الوردي المواجهة لها تذكر اسم ووظيفة المار أمامها على شكل شارة مثبتة على صدره، بجانبها مرآة ذات إطار مزدوج الداخلي أبيض اللون، والخارجي أسود تقوم بدور العرافة، فهي تطلع المار على طالعه، أما بقية المرايا ذات الأطر البنفسجية، نقش عليها حروف عجيبة الرسم تعطيها اسمها، وهي تتنقل إلى أماكن وعوالم أخرى، وفي نهاية الممر توجد مرآة لها إطار فضي رفيع، لا تحمل اسمًا، ولكنها ذات طابع ناطق تخبر من بالداخل بهوية الضيف القادم، والتي ما أن انعكست صورتها عليها حتى قالت بصوت رخيم بطئ بطريقة رئيس الخدم في القصور الإنجليزية القديمة: "الكونتيسة فلورنسيا، وبصحبتها قطتها روما"

ثم صمتت لخمس ثوانٍ، ثم قالت بصوت واضح مرتفع: "فمفري"

تقدم شخص مهيب ناحية الكونتيسة، ذو وجه أرستقراطي شاحب، ولكنه قاسٍ ومرعب، وابتدرها بصوت جهوري بارد يثير الرعب في دولة كاملة: "أوه .. عزيزتي الكونتيسة فلورنسيا"

نظرت له بثبات، وهي تمد له يدها لتضعها فوق يده كعادة قديمة، وقالت بهدوء: "أوه عزيزي الكونت دراكولا.. كم أنا سعيدة لرؤيتك هنا"

تأملها الكونت، وهو يتناول يدها، وهو يقول: "لا زِلْتِ جميلة كما عهدتك دائمًا، لم تغيرك السنون، بل إني أراها قد زادتك جمالًا"

ابتسمت له بضعف، وقبل أن يتحركا نحو الداخل قاطعهما صوت عجوز يقول بثقة: "هكذا تكون مصاصات الدماء"

التفت كليهما إلى مصدر الصوت، وتملكت الدهشة الكونتيسة فلورنسيا، فهذا العجوز الأصلع صاحب القلب المعتل، والضغط المرتفع الذي لا يعرف معنى الانخفاض، المرتدي بذة كحلية قديمة، ولكنه معتني بها، الشبيه بعصى المكانس من المفترض أنه ميت، ووجهه الممصوص كجثة يحمل عوينات طبية ذات إطار عفى عليه الزمن.

تمتمت فلورنسيا بدهشة: "رفعت إسماعيل"

أجابها دكتور رفعت، وهو يخرج قرص النيتروجلسرين ليضعه تحت لسانه: "أجل عزيزتي الكونتيسة، أأدهشك هذا؟"

تمالكت نفسها، وقالت بثبات: "ألا يدعو وجودك هنا إلى العجب؟، فأنت كما يعلم الجميع ميت في آخر عدد من سلسلة ما وراء الطبيعة الذي يحمل الرقم ثمانين"

ضحك رفعت، ولكن نوبة سعال قطعتها، قبل أن يسألها بتسلية: "أنا ميت؟ أرى أنكِ قد صدقتي ما كتبه مؤلف تلك السلسلة، الذي يبدو أنه مَلَّ من مصاحبتي، فقرر كتابة شهادة وفاتي، ولكن كيف لي أن أدعوكم لحفلي وأنا ميت؟"

ظهرت الحيرة على وجهها، وهي تسأله: "لا أدري هل أصدق أنك حي، فهل يستوجب دعوتك لنا أن تكون حيًا، أليس كذلك؟"

ضحك الكونت دراكولا بتوحش، ثم قال بسماجة: "أرى أنك يا رفعت لم ترق لك تلك الميتة التي اختارها لك دكتور أحمد خالد توفيق"

أجابه رفعت بغضب: "أجل كانت ميتة سيئة وبشعة آلمتني كثيرًا، لا بل عذبتني عذابًا لا يحتمله بشر، كما أن فراقي لسلسلة ما وراء الطبيعة لم يكن سهلًا، إن الكاتب عاملني بسادية بغيضة"

رد عليه الكونت بقسوة: "أنت لم تفارقها بل هي انتهت بموتك"

هنا تدخلت فلورنسيا لتخفف ثقل كلمات الكونت، وقالت بحماس: "كانت قسوة مفرطة من المؤلف، أتعلم أن أغلب قراء السلسلة رفضوا تلك النهاية القاسية، لقد تألموا جميعًا لتلك الميتة، بل أن بعض القراء رفض قراءة العدد الأخير بجزئيه، لعدم قدرتهم على تصديق موتك، وآخَرين اقتنوها وقرؤوها كأخر ذكرى لدكتور رفعت إسماعيل"

قاطعها صوت غير راضٍ، وظل صاحبه الرهيب يسقط عليهم، مما دفع الكونت دراكولا لينسل هاربًا، ولحقته القطة روما: "أنا أكثركم ضيقًا وتبرمًا من وفاة رفعت إسماعيل، فقد حرمني من متعتي المفضلة، فالحياة دون رفعت مملة جدًا، أليس كذلك أيها الفاني؟"

ثم قال وهو يفتح ذراعيه بشكل مسرحي: "إني للقاءك قلبي يطرب"

التفَتَ الجميع لمصدر الصوت، فإذا بدكتور لوسيفير يتقدم تجاههم بثقة، وهو يتأمل رفعت إسماعيل بنظرة رضا، وهمست فلورنسيا: "دكتور لوسيفير لم أكن أتوقع وجودك هنا"

وقف لوسيفير أمام رفعت فغرق الثاني في ظل الأول محجوبًا عنه ضوء الثريات النارية الإضاءة، وقال لفلورنسيا برقة مصطنعة دون أن يلتفت إليها: "أوه عزيزتي الكونتيسة فلورنسيا"

ازدردت لعابها، وهزت رأسها ببطء، ضحك لوسيفير، ثم قال بمرح: "لم يدعني رفعت بالطبع، ولكني لا أحتاج إلى دعوة، فقد اشتقت إليك يا عزيزي"

ثم قطب جبينيه، وأكمل: " هذا كاتب سلسلة ما وراء الطبيعة لقد أغاظني بشدة، ولم يكن موتك بالشيء المحبب إليَّ، وأظنك مثلي يا رفعت؟"

أجابه رفعت بلا مبالاة: "لست أدري لِمَ أراد موتي بهذه الطريقة البشعة، ربما كانت البشاعة تسربت إلى يديه من طول مصاحبته لي في عالم الماورائيات، وعلي الرغم من عدم رغبتي في الموت بهذه الطريقة إلا أنني سعيد لانتهاء جولاتنا معًا يا دكتور لوسيفير"

غضب لوسيفير من كلمات رفعت، وأعتبرها إهانة له، فتدخلت فلورنسيا بهدوء قائلة: "دكتور لوسيفير أنك تعلم أنه لا قِبَلَ لأحد بمواجهتك، وأنك

تركت رفعت بغرض التسلية فقط، وعلى الرغم من ذلك، فقد عانى كثيرًا، لا تلومه على كلامه يا مرهوب الجانب على الأرض وفي جانب النجوم"

هدأت أسارير لوسيفير، وقال: "معك حق فلورنسيا إن رفعت على الرغم من أنه لم يرَ قوتي الحقيقية، فقد عانى كثيرًا، ولهذا ولأجلك سأغفر له وقاحته"

قال رفعت ببساطة: "دكتور لوسيفير أنك تعلم أني وقح دائمًا، فصراحتي تتعدى حدود الوقاحة"

ضحك لوسيفير بطرب، ثم قال منتشيًا: "ولهذا أحببتك يا رفعت"

ذهل رفعت، ورفعت فلورنسيا حاجباها تعجبًا، ولوسيفير يستمتع بتأثير كلماته عليهما، ثم أوضح: "أجل لقد أحببت اللعب بك يا رفعت، ولقائاتنا كانت تسريتي الأثيرة، وهذا كان السبب الأساسي في إبقائي عليك، ونقمتي على كاتب السلسلة الفاني أحمد خالد توفيق، لقد حرمني من متعتي الكبرى"

سأله رفعت بفضول: "وعلى الرغم من نقمتك عليه لم تؤذه أو تنتقم منه، تُرى لماذا؟ إني لأتعجب"

ضحك لوسيفير بقوة، ثم سأله بمكر: "أتريد مني أن أنتقم منه لأجلي أم لأجلك؟"

رفع رفعت عينيه ليتأمله، بينما أكمل بذات المكر والدهاء: "ربما لأنه أتعبك طوال رحلتك معه عبر ثمانين عددًا في سلسلته بخلاف الأعداد

الخاصة، إلى جانب خلافاتكما الكثيرة، ولربما لاختياره ميتة بشعة لينهي تلك السلسلة"

أضاف لوسيفير آخر جملة ببطء شديد ليثير رفعت، الذي هز كتفيه، وهو يرد عليه بصدق: "كلا لا أريد إيذاءه، فقد كان رفيقي لمدة عشرين عامًا، ولطول عشرتنا يجب أن تحدث بعض الخلافات العابرة التي لا تؤثر على مدى علاقتنا، وعلى الرغم من غضبي لاختياره تلك الميتة البشعة لينهي السلسلة، إلا أني أراه من القلائل الذين يمكن أن أطلق عليهم لقب صديق"

تنحنحت فلورنسيا، وقالت باحترام: "أرى أنه لا داعي لنقمتكما على المؤلف، فلقد توفيَّ، ولم يعد هناك سبب لمعاتبته، أو الحقد عليه، لقد رحل إلى حيث يجب أن يكون بعد انتهاء رحلته على سطح الأرض"

نزل الخبر كالصاعقة على رفعت، فسقط أرضًا، وهو يتمتم: "لقد مات، إنكِ لا تكذبين، أم أنكِ كاذبة أشرة؟"

ضحك لوسيفير، وقال وهو ينصرف، تاركًا رفعت لتقيمه فلورنسيا: "يبدو أنه حسن حظ ذلك الفاني، لقد نجا من انتقامي، يبدو أنه كان يحبك يا رفعت على الرغم من كل شيء لقد أنقذك مني قبل أن يرحل، وداعًا أيها الفاني، وتذكر ستظل الأثير عندي."

أمسك رفعت بيد فلورنسيا ليدنيها منه حتى يرى عينيها من خلف عويناته ليتأكد من صدقها، استسلمت فلورنسيا لجذبته، وتركته

يستجوب عينيها بصمته، غير أن شخصًا آخر قطع عليهما الاسترسال بقوله: "لم أكن أعرف أنك تحبني إلى هذه الدرجة يا رفعت"

التَفَّ رفعت وفلورنسيا صوب مصدر الصوت، فوجدا سحابة من دخان السجارة خلفها كان يقف آخر شخص يتوقعه رفعت، إنه دكتور أحمد خالد توفيق، بوجهه البشوش الأسمر، وعينيه المختفية خلف عويناته تشع سعادة تتجاوزها لتحيط صاحبها بهالة من الفرح، يرتدي بذة سوداء مناسبة للسهرات، وبيده اليمنى سيجارة مصرية الصنع ذات رائحة كريهة، ودخان أسود، أزكم الأنوف، ولطخ الحويصلات الهوائية بالسخام، بعد طلاءه لجدران البلعوم والقصبة الهوائية بالهباب، مما دفع رئتي رفعت وفلورنسيا على الانتفاض في نوبة سعال قاسية بغية التخلص من تلك السموم السوداء، ومن خلفه القطة روما التي قفزت إلى أحضان الكونتيسة فلورنسيا.

هتف رفعت بغيظ: "خطأ هناك خطأ ما"

سألته فلورنسيا باهتمام: "ما هو هذا الخطأ؟"

أجابها رفعت بحنق، بعد نوبة سعال سيئة استدعت استخدامه لبخاخ: "نوعية تلك السجائر لا تتناسب مع البذة الرسمية، إنه يدخن سجائر مصرية، ويرتدي بذة أوروبية الصنع، هذا الشخص لا يمكن أن يكون أحمد خالد توفيق، كما أنه ميت، فكيف جاء إلى حفلتي"

ضحك الدكتور أحمد، وأجابه باستمتاع: "هذه الاعتراضات لا تمنع كوني الدكتور أحمد خالد توفيق مؤلف سلسلة ما وراء الطبيعة التي عرفت القراء بك وبعوالم الرعب الخفية، فكما ترى فإن هذا الحفل غربي الطابع مما يستلزم ارتداءي لبذة مناسبة من صنع بلاد الفرنج، أما سجائري فهي ما اعتدت أن أدخنها، أظنك دائمًا ما كنت تدخنها في أي مكان تذهب إليه على سطح البسيطة"

رد رفعت بغيظ: "ولكني لم أرتدِ في حياتي زيًا مناسب لأي حفلة دُعِيت لها، فها أنا ذا أرتدي بذتي الكحلية التي يعرفها الجميع"

تجاهله أحمد خالد توفيق، وأكمل حديثه كأنه لم يتعرض لمقاطعة قط: "أما بخصوص كوني ميّتًا، فأنت كذلك ميت يا رفعت، فما الغريب في هذا؟"

حاول رفعت مقاطعته، غير أن فلورنسيا تدخلت قائلة بهدوء: "كفى يا رفعت جميعنا يعرف أن كلاكما ميت، وكلنا يعلم أنه في عوالم ما وراء الطبيعة لا يوجد شيء عجيب، فهي العجب بذاته، لا تضع سهرتنا في جدال سخيف وعقيم"

هب رفعت واقفًا، وهو يصرخ في مؤلف سلسلته: "لماذا قتلتني بهذه البشاعة؟ لم أكن أعرف أنك تكرهني لهذه الدرجة، إنك سادي"

نكس دكتور أحمد رأسه، وأجابه بهم: "لم أقصد أن أعذبك بتلك الطريقة، ولكنها كانت طريقة كافية لإرضاء لوسيفير وسادة جانب النجوم"

هدأ رفعت، وسأله بضيق: "ولِمِ قتلتني من الأساس؟ لم يكن هناك داعٍ لذلك"

رفع دكتور أحمد رأسه، وأجابه ببساطة لا تتناسب مع ما يقوله: "لأني شعرت بدنو أجلي، فأردت أن أحميك من انتقام المسوخ وقُوَى الظلام، وأنهى السلسلة"

قال رفعت ساخرًا: "بل لم تُرِد أن يكتب حكاياتي غيرك يا أحمد"

ضحك دكتور أحمد، وسأل وهو يغمز بعينيه إلى رفعت: "وليكن يا رفعت، أليس من حقي أن أفعل؟"

أجابه رفعت بغيظ، وهو يجز على أسنانه: "أجل من حقك"

ضحك دكتور أحمد بمرح، ثم قال له: "رفعت لا تكن حقودًا هكذا، فأنت قد مللت هذه العوالم والمطاردات على أي حال"

أثار الدكتور أحمد حفيظة رفعت بضحكه وكلماته، مما دفعه لينقل له ما يعمل بصدره ليسكن نفس دكتور أحمد قائلًا: "لا تظن أنك بقتلي لن تجد من يكتب عني، ولن أجد من أمليه حكاياتي، فهناك جيل من شباب الكتاب ربيَّ على حكاياتي على أستعداد أن يكمل ما نهيته أنت، لا تظن أنك

محوتني من ذاكرة القراء، فكما قرأ عني جيل سيقرأ عني أجيال، فأنا لن أموت، سأظل جزءًا من تَكَوُّن شباب الوطن العربي"

ضحكت فلورنسيا بقوة، وتدخلت قائلة بعجب: "لم أكن أعرف أنك مغرور ومتكبر يا رفعت، يبدو أن دكتور أحمد تعمد إخفاء هذه العيوب عند كتابته لمغامراتك في عوالمنا الماورائية"

رد رفعت بنزق: "كلا لست مغرورًا أو متكبرًا، ولكني منزعج من طريقة موتي، ومن أسلوب أحمد الساخر"

ابتسم دكتور أحمد بود، ثم قال: "لا يمكنني أن ألومك يا صديقي، فقد كنت قاسيًا بعض الشيء"

قاطعه رفعت: "بل كثيرًا"

ضحك دكتور أحمد، ثم أكد على كلامه: "نعم كثيرًا، ولكني فسرت لك سبب ذلك، وعلى كلٍ فأنا أعتذر لك عما بدر مني"

ابتسم رفعت، وقال بأريحية: "لا تهتم يا صديقي لقد كنت تحميني، وكما ذكرت أنت لقد مللت مغامراتي في عوالم الماورائيات وأردت الاعتزال على أي حال"

سألته فلورنسيا: "هل تعني أن هذه حفلة وداعك لعوالمنا يا رفعت؟"

قال رفعت بسرعة: "أليس هذا جليًا؟ نعم إنها حفلة اعتزالي"

قبل أن تتحدث فلورنسيا، قال دكتور أحمد بمرح: "إنه حفل على أي حال، وأنا أريد أن استمتع به، إلى اللقاء يا رفعت"

ثم انحنى إلى فلورنسيا، وهو يقول: "إلى اللقاء عزيزتي الكونتيسة فلورنسيا"

ثم داعب قطتها، وتركهما بمفردهما، هزت فلورنسيا كتفيها بطريقة أرستقراطية، ثم قالت بتعالٍ: "فليكن، إنه حفل مهما كان سببه، ويجب الاستمتاع به"

ثم داعبت روما بحب، وسألت رفعت بلا اكتراث: "والآن ماذا نفعل؟"

وقبل أن يجيبها ارتفع صوت يقول بعربية غريبة: "رافاااات، أين كنت؟

قفزت روما من بين يدي صاحبتها، واختفت بين الأقدام، بينما حنت التِفاتة من الكونتيسة فلورنسيا إلى مصدر الصوت، فإذ بها تبصر شابًا صيني الملامح يرتدي بذة سهرة سوداء عصرية أنيقة جعلت منه نجمًا للحفل، بملامحه الآسياوية الهادئة أخذ يتطلع إليها باهتمام، وهو يسأل رفعت إسماعيل الذي بدى بجانبه كموميا‌ء محنطة مبعثرة الثياب والشعر: "رافاااات أين كنت؟، لقد أخذنا أنا وماجي نبحث عنك كثيرًا" وأشار بيده إلى الحسناء القادمة بخطوات هادئة رشيقة كأنها لا تلمس الأرض بل تطير فوقها بحنية، وبين ذراعيها قطة فلورنسيا السوداء روما، التي قفزت لتستقر على كتف فلورنسيا، التي داعبتها من خلف أذنها بتلقائية، وهي تسألها دون أن تنتظر إجابة: "روما عزيزتي أين كنتِ؟"

بعينين شبه مغلقتين تأملت فلورنسيا ماجي ببرود، فإذا بها حسناء عجوز لطيفة الملامح التي لا تزال تحتفظ بجزء كبير من شبابها، ترتدي ثوبًا أنيقًا محتشمًا أسود اللون بسيط التفاصيل جعلها أكثر رقة.

قالت ماجي برقتها المعهودة: "إن قطتك رقيقة للغاية، ولكني أخشى أنها رأت ما أفزعها، وأنا لا ألومها البتة"

وأكملت همسًا: "لقد رأت حامل الضياء"

شكرتها فلورنسيا بطريقة أرستقراطية، بينما تمتم هان تشو (كاهن النفاراي): "دكتور لوسيفير، كيف ذلك؟"

تكرم رفعت بإعطاءه بعض التوضيح: "أجل هو، لقد كان هنا على الرغم من عدم دعوتي له، ولكنكم تعلمون من هو لوسيفير حامل الضياء، وسيد النورانيين الذي لا تخفى عنه شاردة أو واردة"

قالت ماجي بصوتها الهادئ: "أنت تعلم أنه غضب بشدة عندما كتب دكتور أحمد خالد توفيق العدد الأخير بجزئيه نهاية سلسلة ما وراء الطبيعة معلنًا وفاتك بتلك الطريقة البشعة، لقد كان قاسيًا جدًا، لقد قُتِلْنا جميعًا حزنًا عليك"

تدخل هان تشو قبل أن يسترسلوا في هذا الموضوع المحزن قائلًا: "رافات إنك لم تعرفنا على ضيفتك"

رد رفعت بضيق: "أهذا ضروري، كم أمقت الواجبات الإجتماعية، ولا أدري كيف استطعت أن أقيم هذه الحفلة"

ضحكت فلورنسيا وماجي، وقالت الأولى مداعبة: "خشيت أن تصبح اجتماعيًا بعد موتك، وتصير شبحًا ودودًا، ولكنك خيبت ظني، فأنت كما كنت حيًا تكره التجمعات والواجبات الإجتماعية، وهذا يؤيد فرضية كونك لا تزال على قيد الحياة"

ضحك الجميع عدا رفعت الذي عقب بامتعاض: "لم يتقرر موتي بعد، ولا أحد منكم يمكنه الحكم بكوني حيًا أو ميتًا، على كلٍ أنها مفاجأة الحفل"

قالت ماجي لفلورنسيا: "رفعت سيظل رفعت، سأقوم بواجب التعارف"

ثم مدت يدها قائلة: "ماجي مايكلوب أستاذة فيزياء"

وأشارت إلى الشاب صيني الملامح: "وهذا هان تشو كاهن النفاراي"

مد هان تشو يده مصافحًا، قالت فلورنسيا، وهي تصافحه: "وأنا الكونيسة فلورنسيا، وهذه قطتي روما"

وعلى الرغم من أن التعارف بينهم كان سريعًا ومريحًا إلا أن رفعت كان متبرمًا، يحدث نفسه قائلًا: "لماذا أقحمَتْني في هذا الأمر؟ لِمَ جعلتي مني صاحب الدعوة لهذا الحفل؟ إني لأعجب لطلباتك، ولكن هذا ليس بجديد"

انتبهت ماجي لهمهمات رفعت الساخطة، فهمست له باهتمام: "رفعت يا عزيزي، ماذا هناك؟"

رد عليها رفعت بصوت خفيض لا يخلو من الضيق: "لا شيء يا ماجي"

كان هان تشو يحادث فلورنسيا ويمازحها دون أن يُشْعِرا رفيقهما بأنهما لاحظا ما يدور بينهما، تقمصت ماجي دور المضيفة بدلًا من رفعت، وهي تقول له بصوت سمعه بصعوبة: "دائمًا ما تكون فاشل اجتماعيًا"

رفعت ماجي صوتها، قائلة بأدب جم: "عزيزتي فلورنسيا هل تسمحي لي أن أدعوكِ لجولة بالقصر؟"

ضحكت فلورنسيا بمرح، وقالت برقة، وهي تسبل عينيها: "أخيرًا اهتَمَّ بي أحد، لقد مللت مكوثي في ردهة الاستقبال، فرفعت كما تعلمين مضيف سيء"

ابتسمت ماجي، وأكدت: "كنت أظنه مدعو نزق صعب الإرضاء، فإذا به مضيف سيء، لذا أرى أنه عليَّ القيام بدور المضيف لا المدعو بسببه"

هز هان تشو رأسه مؤيدًا بحماس، بينما قال رفعت متذمرًا: "إني لأعجب منكم، جميعكم يعرف مَن هو رفعت إسماعيل، فلما هذا الكلام عن سوء ضيافتي، أجل أنا أسوء مضيف يمكن أن تقابلوه، وذلك لأني أكره الاجتماعيات..."

قاطعه هان تشو قبل أن يسهب في تلك النقطة: "يكفي يا رافات، إننا على علم بما تريد قوله، وإن تركناك تكمله سنصاب بالتخشب والملل من كثرة الوقوف"

ابتسمت ماجي، في حين قالت فلورنسيا بحماس: "لقد أصبت بالضجر من طول مكوثي بتلك الردهة، فأنا حبيستها منذ وصولي حتى ظننت أن الحفل هنا فقط"

زمجر رفعت، فضحك الجميع، وأمسكَتْ ماجي بيد فلورنسيا، وهي تقول: "هيا بنا يا عزيزتي"

تأبطت فلورنسيا ذراع ماجي كأنهما صديقتان بالمرحلة الثانوية، وبدآا جولتهما، ورفعت يشيعهما ببصره، وهو يتمتم بغيظ: "كم أمقت الاجتماعيات، لماذا فعلتِ هذا بي ؟"

مال هان شو على أذن رفعت، وسأله بقلق: "أأنت مريض؟"

زفر رفعت بضحر، ثم قال بسخط: "أجل مريض بكراهية الاجتماعيات والحفلات، ولقد أثارت هذه الكونتيسة وقطتها ضيقي أكثر مما تتصور"

نظر لها هان تشو بعجب، وسأله بغرابة: "ولِمَ دعوتها؟ بل دعني أسأل لما أقمت الحفل يا عدو التجمعات؟"

أجابه رفعت بصدق: "لست أنا مَن دعوتها"

ثم صفن للحظة، وأردف بتردد: "كما أني لست صاحب الحفل"

أمسك هان تشو كتف رفعت، وسأله بقلق: "ماذا تعني يا رافات؟"

أجابه رفعت بقلق مماثل: "لقد تلقيت دعوة مثلكم، وعليها اسمي كصاحب الحفل، مع أمر بحضوري والقيام بدور المضيف، على أثرها قَدِمْتُ إلى هنا، وكلي فضول لأعرف ماذا تريد مني هذه المرة."

عاود هان تشو سؤاله بقلق متنامٍ: "مَن هي التي تتحدث عنها يا رفات؟"

رد رفعت بضيق: "ومن غيرها، إنها الكينونة"

وقبل أن يسترسل هان تشو في الاستجواب نادتهما ماجي وفلورنسيا ليلحقا بهما، مما اضطرهما للسير بِجِد ناحيتهما، ورفعت يتمتم: "ترى أين أنتِ يا كينونة؟"

بينما كان كاهن النافاراي يفكر بهوية صاحب الحفل الحقيقي، وهل هي كينونة بالفعل أَم شخص آخر.

١٧

جولة في القصر

أخذت ماجي بيد فلورنسيا تقودها في جولة داخل القصر الفسيح، سألتها الثانية، وهي تداعب قطتها: "هل تعشين هنا؟ أم أنكِ من منظمي الحفل؟"

ضحكت ماجي، ثم قالت: "كلا يا عزيزتي، فأنا مثلك تمامًا ضيفة، ولكني تجولت في القصر لبعض الوقت منذ قليل"

ثم أشارت إلى الممر أمامها، وقالت لها بمرح: "هذا ممر الأشباح، إنه مألوف لي بشكل خاص، ولذلك لأنه يذكرني بقصر أجدادي في إسكتلندا قصر مايكلوب"

ابتسمت لها فلورنسيا، وقالت: "إن الأشباح ساكنة المنازل ألفة لساكنيها خاصة للأسكتلنديين"

ثم حانت منها آلتفاتة إلى الخلف، فلم تبصر أحدًا، فسألت ماجي: "أين هان تشو كان ورفعت؟"

التفَّتْ ماجي، فأبصرتهما في مكانهما بردهة الاستقبال، فغمزت إلى فلورنسيا لتلفت انتباهها إليهما، فنظرت لها بمعنى كان يجب أن نتوقع ذلك، ثم أخذت كليهما تناديناـن عليهما.

أَقْبَلَ رفعت وهان تشو كان، والأول يلهث ملتقطًا أنفاسه بصعوبة، التقَطَ من جيب سترته قرصه الأثير، ووضعه تحت لسانه لتنتظم أنفاسه، وما إن عادت أنفاسه لأنتظامها داخل رئتيه حتى قال لهم: "هيا بنا لِمَ تقفون هكذا تنظرون إليَّ، ماجي إلى أين تقودينناـ؟"

ردت ماجي بهدوء: "سندخل ممر الأشباح"

في حين زفرت فلورنسيا، وهي تهتف: "هكذا أنت يا رفعت، أنت لا تطاق"

ثم تقدمتهم، وماجي من خلفها إلى الممر ذي الإضاءة الخافتة المناسبة لظهور الأشباح التي بدأت التحرك بينهم، كانت الأشباح اسكتلندية الطابع بينما كانت الصور المعلقة على الجدران ذات طابع مختلف، مما دفع فلورنسيا للقول موجهة حديثها لماجي: "أوه إن هذه الأشباح، وتلك الإضاءة، وهذا الممر لتعطي المرء انطباعًا بأنه خلف تلك الجدران بحيرة لوخ نس، ووحشها الأسطوري، ولكن تلك الصور تعطي انطباعًا آخَر، فهي صور لأيقونات الرعب وأساطيرها الشرقية منها والغربية، فعلى يسارك صور للثقوبات والجاثوم والبوجارت واوزوموديوس وغيرها، وعلى يمينك ليليث والنداهة والقطط مقطوعة الذيل وغيرها"

ثم رفعت عينها إلى السقف، وهي تهتف: "انظري فعلى السقف رسمت أيقونات وأساطير الرعب من شتى أنحاء العالم"

كان رفعت وهان تشو كان يسيران ببطء تاركين مسافة مناسبة بينهما وبين السيدتين اللتين تستمتعان بما تريانه من صور وأشباح، ولكن لأن رفعت دائمًا شخص ملول عصبي، فقد قال بضيق: "يكفيكما تلكع بالطرقات، لقد مللت هذا الممر"

تجاهلتاه أو كأن ما تتوقعا رؤيته أهم من كلامه، ولذلك أكمل الجميع سيرهم بما فيهم رفعت مُكْرَهًا حتى اقتربوا من نصف الممر، فكان هان تشو أول من صاح مندهشًا: "رافات هناك في منتصف الممر بالضبط على الحائط الأيمن بورتريه كبير لك"

ثم أشار بيده، وهو يقول: "هناك حيث تقابله نافذة تطل على بحيرة لوخ نس، وها هو ذا وحشها الشهير"

تقدم رفعت ليرى ما يقوله هان تشو كان، فإذا ببورتيه له يحتل الحائط الأيمن من أعلاه لأسفله بعرض يماثل الطول، التفَتَ إلى الجهة المقابلة حيث النافذة المطلة على بحيرة لوخ نس، ليجد وحشها يرحب به على طريقته، كادت الصدمة أن تُفْقِدَهُ النطق لولا فلورنسيا التي قالت بصيغة تقريرية: "أرى أنك أصبحت أحد أبرز لأيقونات عالم الماورائيات يا رفعت، تهانِيَ الحارة، ألهذا دعوتنا؟"

هز رفعت رأسه نافيًا، وقال مفكرًا: "هذا القصر العجيب عند مدخله الأمامي تجد غابة تشبه غابات رومانيا الشهيرة بالمذؤوبين التي تصدح أصواتهم داخلها ومصاصي الدماء، وما أن تدخل القصر حتى يستقبلك الكونت دراكولا بنفسه، ثم تنتقل إلى ممر الأشباح الذي يعطيك طابعًا إسكتلنديًا الذي يطلع على بحيرة لوخ نس حيث وحشها الأسطوري يظهر جليًا للعيان، ترى ماذا يعني هذا كله؟"

سألته ماجي مندهشة: "ولِمَ لم تضع كونك موجود كأحد أيقونات عالم الماورائيات هنا من ضمن ألغاز القصر؟"

رد عليها: "كلا يا ماجي هذا ليس له علاقة بسر القصر"

سألته فلورنسيا: "ماذا يعني هذا كله؟ لست أفهم شيئًا"

أجابها بصدق: "وأنا أيضًا لا أفهم شيئًا"

تدخل هان تشو كان قائلًا: "لنفهم علينا أن نتقدم أكثر، ونرى إلى أين يقودنا هذا الممر"

ساروا ببطءٍ حَذِرِ مقتربين من بعضهم هذه المرة في صمت متلصصين على الهواء من حولهم، كانت ماجي أول مَن قطع حبل الصمت، عندما قالت متذكرة، والدهشة تملأ صوتها الرقيق: "ما أعجب له هو أنني عندما قَدِما أنا وهان تشو كان إلى هنا لنبحث عن مكان اختفاء رفعت لم يكن الممر بهذه الصورة، فلم تكن هناك صور أو نافذة"

سأل هان تشو، وهو يطالع أيقونات الرعب اليابانية: "كيف وأين اختفيت يا رفعت؟"

أجابه رفعت، وهو يحك رأسه ليبعثر ما بقي من شعيراته البيضاء: "لست أدري حقًا، فكل ما أتذكره كوني كنت معكم قبل أن استقبل الكونتيسة، ولكن كيف تركتكم وقابلت فلورنسيا، فهذا ما لا أتذكره"

قالت فلورنسيا: "هذا لا يهم الآن، إننا في نهاية الممر، والذي يفضي إلى طريقين، فأي الطريقين سنسلك؟ الأيمن أم الأيسر؟"

رد هان تشو باستغراب: "هذا عجيب، فعندما عبرنا هذا الممر لم يكن هناك طريق آخَر"

وقف أربعتهم يتناقشون محاولين الوصول لقرار حتى قال رفعت: "سنأخذ الطريق الأيمن بالطبع، هذا واضح"

سألته ماجي باندهاش: "لماذا الأيمن بالطبع؟ أنا لا أرى أي وضوح"

أكد هان تشو وفلورنسيا كلام ماجي بهزات قوية من رأسيهما، فقال لهم رفعت بنفاذ صبر: "لقد كانت لوحتى على الجانب الأيمن، وأنا بشري كما تعلمون، أما على الجانب الأيسر فكان وحش لوخ نس، ولذلك أرى أنه لو سلكنا الطريق الأيمن سنقابل بعض البشر أو هو آمن علينا نحن البشر، أما إذا سلكنا الطريق الأيسر فإننا سنجد مُسوخ وَوُحوش وغيرها مما لا نحبذ رؤيتهم حتى لا يصاب أحدنا بأذى"

قالت ماجب بانفعال: "استنتاج رائع يا رفعت"

في حين قال هان تشو كان: "لا أرى أي روعة فيما قال، فهو محض كلام لا يوجد ما يثبته، وما يدريكم فلربما كان العكس صحيحًا، وعلى كلٍ لا ضير من سلوك الطريق الأيمن"

ضحكت فلورنسيا، ثم قالت: "ربما كان الأيسر يقودنا إلى جولة خطرة في هذا القصر العجيب تؤدي إلى هلاكنا، وربما كان في الأيمن نجاتنا أو سبيل للوصول إلى المكان الذي قدمتم منه"

قالت ماجي بحسم: "اعتدت دائمًا الاستماع إلى رأي رفعت، فهو صاحب حاسة قوية تنبئه بما يجب فعله"

رد هان تشو ببساطة: "أنها غريزة تشكلت من كثرة تعامله مع عالم الماورائيات، وهي التي تساعده على النجاة"

مال رفعت على هان شو هامسًا: "كلا أنها أوامر الكينونة"

جحظت عيني هان تشو، وقبل أن يكمل قاطعتهما فلورنسيا بقولها: "أرى أنه لحمايتنا سنكون أنا وماجي في المنتصف، وسيتقدما رفعت صاحب الاقتراح، كما أنه صاحب الدعوة لهذا القصر الذي يجهل عنه أكثر مما يعلم، وبالطبع هان تشو كان بالخلف لحمايتنا من أي هجوم غير متوقع"

تذَمَّر رفعت محاولًا الرفض، غير أن دفعه هان تشو ليتقدمهم، وهو يهمس له: "لا تخف طالما تتبع أوامر الكينونة"

تقدمهم رفعت مُجْبَرًا، والطريق يزداد اتساعًا وإضاءة حتى وجدوا أنفسهم أمام مساحة شديدة الاتساع يقف بها العديد من الأشخاص الذين هتفوا بصوت مرتفع ما إن رأوه: "رفعت أين كنت؟ لقد قلقنا عليك"

كانت المفاجأة من النوع الذي جعل قدميه تتسمران أرضًا لخمس دقائق كاملة.

كانت دهشة رفعت كبيرة جدًا، فما رآه ليس سهلًا، لقد وجد نفسه ورفاقه في قاعة شاسعة الاتساع تقارب الفدان على مدخلها تماثيل للجرجوانات الشمطاوات الأغريقية، كما زينت القاعة بتماثيل لرفعت في لحظات الخطر التي واجهته في أعداد السلسة الثمانين، أما الثريات التي تضيء السقف الشاهق الارتفاع كانت ممتلئة بشموع سوداء تلقي بإضاءة حمراء دموية، وظِلال رمادية تتراقص على الحوائط البنفسجية وبين الحضور، في وسط القاعة كان يقف عادل توفيق صديق رفعت من أيام الطفولة وقفة رسمية كمدير أمن الأسكندرية ينتظر وصول وزير الداخلية، وليس مدعوًا إلى حفل ساهر، على يمينه زوجته سهام عبدالمنعم، وعلى يساره هويدا أخت زوجته وخطيبة رفعت السابقة، وكلتاهما ترتديان فستانًا له نفس التفصيل بألوان مختلفة، ففستان الأولى زهري اللون، أما الثاني فرمادي داكن، وأمامهم يقف عزت شريف أو شاكر جار رفعت الرسام الأعزب المصاب بمتلازمة أديسون، وعلى بعد خطوات يقف مجموعة من الرجال يرتدون بِذَّات سهرة سوداء فخمة، وهم الدكتور محمد شاهين خبير الأنثربيولوجي، ودكتور سامي فهيم الطبيب النفسي، ودكتور رمزي حبيب دكتور المصريات بكلية الآثار، وعلى يمينهم تقف الدكتورة كامليا أستاذة الفلسفة، والتي تعني

برفعت كأمه مرتدية ثوبًا أسودًا موضته منتهية منذ قرن، كانت تتحدث مع الزوجين التوأم الفضائي سالم وسلمى وطفلهما الصغير اللذان اسمياه رفعت تيمنًا به، مرتدين ثيابًا مصنوعة من أقمشة غريبة وردية اللون تشع بريقًا لؤلؤيًا، تتبادل الكلام معهم ثريا زوجة دكتور سامي في فستان سهرة أزرق اللون، على بعد خمسة أمتار إلى اليسار تقف عائلة شيلدون المكونة من هاري، وزجته ليندا، وطفلهما جيمي أصدقاء رفعت الحميمين، وبجوارهم تقف الأم مارشا ساحرة الفودو العجوز مع ابنها جابرييل في ثياب مهلهلة لا تتناسب مع الحفل، وعلى بعد خمس وعشرين خطوة يقف وحيدًا الروماني جوستاف فيكولسر الذي ذهب إلى جانب النجوم قبل رفعت في إحدى مغامراتهم السابقة، بجانب المدخل ناحية اليسار يقف النصاب اليهودي سام كولبي مرتدي بذة سهرة مبهرجة، ومعه جون موهون وميخائيل ميلفسكو في بذتي سهرة متطابقتين ملتفين حول ديفيد كوبرفيليد وأليستر كراولي اللذان يرتديان بذات باهظة الثمن، وبيتقدم المجموعة الكونت دراكولا، أما بالجانب الأيمن فيقف شريف السعدني مذيع ومقدم برنامج حلقات منتصف الليل، وهو يرتدي بذة سهرة على أحدث موضة، وبجواره إلهام السويفي صديقة رفعت منذ الطفولة والتي كان يحبها وهو صغير، وبجانبها عبير ابنة خال رفعت و نجلاء عبد الجواد فرد التوأم التي كانت تعاني من التطابق الشعوري في فستانين ذو ألوان هادئة ومحتشمة، وتتوسطهم

شيراز الشبح صديقة طفولة رفعت في رداء رمادي خالي من الذوق، في صدر القاعة يقف أحمد خالد توفيق والبسمة تنير وجهه، بينما كانت المسوخ والوحوش وأبطال السلسلة ممن قابلهم رفعت في سلسلة ما وراء الطبيعة والأعداد الخاصة يتحركون في المساحات الفارغة بين الضيوف متبادلين معهم الحديث والنكات، وبعضهم وقف يتسامر بود غريب، فكان الجميع بجوار بعضهم بلا إيذاء من المسوخ أو خوف من البشر.

جال رفعت عينيه في الجميع بحب غريب لم يعهده في نفسه، فهؤلاء رفاق رحلته الطويلة عبر قلم دكتور أحمد خالد توفيق على أوراق روايات الجيب، بَهَرَهُ استقبالهم غير أن غياب أهم فرد في المجموعة (كينونة) والتي بحث عنها رفعت في وجوه الجميع حتى ماجي وهان تشو كان، حتى اصطدمت عيناه بالكونتيسة فلورنسيا التي قالت بنفاذ صبر: "نعم يا رفعت أنا مَن تدعوني بالكينونة، على الرغم من كراهيتي لهذا الاسم، وكالعادة لم تتعرف عليَّ"

رد عليها رفعت بسؤال يعرف إجابته: "أنتِ مَن نظم هذا الحفل"

أجابته مبتسمة: "أجل أنا مَن دعوت الجميع لهذا الحفل، وقد وافق الجميع على الحضور، غير أني أرسلت للبشر دعوات موقعة باسمك حتى ينضموا للحفل دون خوف، لقد صممت هذا القصر خصيصًا للحفل على الطراز القوطي، ووضعت أمامه غابات رومانية الطابع، وخلفه

بحيرة مثل لوخ نس بوحشها الشهير، وأسست ممر المرايا حتى تتعرف على جميع المدعوين، وتطمئن لهم، أما ذلك الممر والإشارة التي وضعتها لك كان لها هدفين الأول لتتبعه لتصل إلى الحفل، والثاني فهو لأعلمك أنك أصبحت أحد أيقونات عالم الماورائيات، فموتك حوَّلَكَ لأسطورة تتداولها الأجيال، فرحلتك التي دامت لعشرين عامًا جعلتك رفيق الطفولة والشباب لكثير من العرب، وبطلًا محبوبًا مميزًا مؤثرًا على جيل بأكمله من الكتاب والقصاصين"

ثم نظرَتْ إلى الجميع، وقالت بطريقة أرستقراطية: "أهلًا بكم جميعًا، سعيدة بتلبيتكم الدعوة، والآن مع مفاجأة الحفل"

وما أن أنهت كلمتها حتى انفتح باب بآخِرِ القاعة، وبرز منه قضاة محاكمة جانب النجوم التي حضرها رفعت بالعدد رقم خمسين، وعلى رأسهم دكتور فرانتز لوسيفير الذي استقبله بذراعين مفتوحين قائلًا: "مرحبًا بك أيها الفاني، إني بك قلبي يطرب ويسعد"

ثم التفت إلى ابنه خيرلسون الذي ظهر فجأة من خلفه، كأنه نبت من العدم، وقال: "هيا يا ولدي ابدأ في تأليف أحداث هذا الحفل الرائع متوخيًا الحذر، فلا يجب أن يتأذَّى رفعت أو أحد من ضيوفه من الفانين"

تقدم لوسيفير وموكبه حتى وقف أمام فلورنسيا، وقال: "كم أسعدني إقامتك لهذا الحفل"

ثم صمت لبرهة، وأكمل غامزًا بعينه اليسرى: "وأنا على وعدي لكِ"

تدخل رفعت قائلًا بقلق: "وكيف نثق في وعدك يا دكتور لوسيفير؟"

ابتسمت كينونة، وهي تجيبه: "إن لِعالَمِنا نُظُمًا معقدة وقوانين لا تعلمها، ولهذا يجب أن تثق في وعده"

ثم نظرت إلى ماجي، وقالت: "كم أنا سعيدة لتعرفي على ماجي التي تسير على الحشائش فلا تنكسر، إن رفعت محظوظ بكِ يا عزيزتي"

ابتسمت لها ماجي، وقالت: "بل أن سعادتي لا توصف بمعرفتي لِمَن حَمَتْ رفعت في العديد من مغامراته"

تقدم نحوها هان تشو كان، وهو يقول: "كم تمنيت أن أراكِ حتى أسألك كيف تعرفتي على رفعت إسماعيل؟"

ضحكت كينونة، وأجابته: "إنه أحد الأسرار التي لا يجب إفشاءها"

ثم ابتسمت للجميع، وقالت: "لقد أزف الرحيل.. أتمنى لكم حفلًا سعيدًا"

ثم أشارت إلى روما قائلة: "هيا يا روما، لقد حان وقت ذهابنا"

نظر لها رفعت، وهو يهتف: "كيف لم أنتبه لوجود روما، فكيف لقطة مصاحبة مصاصة دماء؟"

ضحكت الكينونة، وقالت وهي تعطيه ظهرها: "دائمًا متأخر يا رفعت"

طرقت روما بقدميها الهواء فظهر بابًا من دوامات قوس قزح فتح بمجرد وقوفهما أمامه، لتخطوا منه إلى خارج الحكاية.

ما إن فتح الباب من الجهة الأخرى حتى عادت فرح، وبين ذراعيها روما لتستقبلهما أجاثا بوجه بشوش قائلة بود: "عودًا حميدًا، كيف كانت الرحلة؟"

بادلتها فرح الابتسام، وردَّت: "كانت حفلة رعب من طراز خاص جدًا، كنت أتمنى أن تشاهدينها"

قالت أجاثا ببساطة: "أخشى يا عزيزتي أن هذا النوع من الحفلات لا يروقني، فإن صحتي لا تحتمل عوالم الرعب"

ردت فرح: "لهذا لم تكتبي قصص رعب، أتعلمين أنني أرى أن أكثر الناس رعبًا هو كاتب الرعب ذاته، وكلما زاد كم الرعب بداخله زادت قصصه روعة، وإبداعًا، ولربما كان كاتب الرعب أكثرنا فزعًا مما يكتبه، ولكني أملك من الشجاعة مما يجعلني استمتع بأعمالهم"

قالت أجاثا برزانة: "إن كُتَّابَ الرعب يكتبون عن أكثر الأشياء شرًا وفزعًا من وجهة نظرهم، وأخشي أنكِ على حق، فهم يكتبون مخاوفهم، وعوالمهم الكابوسية ليحققوا بها عائدًا ماديًا، ولربما كانت كتاباتهم نوعًا من المقاومة، ولكني أرى أن أكثر كائنات الرعب هو الإنسان ذاته، فعوالم الرعب الكابوسية تتنوع من بلد لآخر تبعًا لثقافة، ولكن أجمع الكل أن ذات الإنسان أكثر ما يخيفه، ولذلك ظهر علم النفس، ولحقه علم

الباراسيكولوجي في محاولة لسبر أغوار النفس البشرية، وإن كنت أراهم لا يزالون بعيدين جدًا عن ذلك"

قالت فرح بسعادة: "لقد أبدعتي في الغوص داخل النفس البشرية، وعلمتينا الشغف بها"

ابتسمت أجاثا بتواضع، ثم قالت: "هيا بنا يا عزيزتي لتناول وجبة عشاء خفيفة غير إنجليزية الطابع، فحفلات الرعب خالية دائمًا من الطعام الجيد، وإن وجد فإن النفس تعافه"

ضحكت فرح، وقالت بمرح: "أجل يا عزيزتي، دعينا نتناول العشاء، ففيروزة جائعة كما أرى"

سارت فرح بجوار أجاثا تحمل فيروزة بين ذراعيها، وهي تموء بشدة حتى وصلتا لحجرة الطعام ذات المنضدة الطويلة والكراسي العشرين، جلست أجاثا على رأس المنضدة، وأشارت لفرح لتجلس في الجهة المقابلة لها، وقبل أن تجلس فرح أقبلت جلاديس تحمل بقية أطباق الطعام، وكؤوس العصير واللبن، فكما هو معروف أن أجاثا تعاف الخمر، وبالطبع فرح مسلمة لا تقربه.

قفزت فيروزة لتلحق بجلاديس لتتناول طعامها بالمطبخ، بينما التهت فرح بمشاهدة أطباق الجبن الشيدر الأصفر القاسي، وجبن ستلتون الأزرق[٣] كريمي القوام ذو لون باهت يتخلله خطوط زرقاء وغيرها من أنواع الجبن الإنجليزية الشهيرة، إلى جانب الجبن المصري الأبيض

بأنواعه، والجبن السوري المعروف بالشنكليش، والجبن الرومي والفلمنك والشيدر الأحمر، وليكتمل ركن الألبان ومنتجاتها فكان الزبادي واللبن الرايب ولفائف الجبن المعروفة بالسمبوسك وأخيرًا أكواب الحليب، البيض تنوع بين المسلوق والمقلي والأومليت وغيرها من أنواع البيض المشهورة يتوسطها طبق كبير الحجم مقسم لأجزاء من البيض واللحم معد بأكثر من طريقة، أطباق اللحوم توسطت المائدة وهى مكونة من النقانق واللحم المقدد والبرجر وصفائح اللحم السورية وهكذا، أما المخبوزات بداية من الخبز بأنواعه وانتهاءًا بالفطائر المحشية، وأخيرًا صحون المربى المختلفة الأنواع، وعسل النحل بنكهاته والعسل الأسود أصطف في نهاية المائدة محاطًا بأكواب العصائر المختلفة.

انتبهت أجاثا لفرح المشدوهة، فتوقفت عن الأكل وسألتها باهتمام: "ماذا هناك؟ هل أنتِ مريضة؟"

انتبهت فرح، فردَّت بتعجب: "هل هذا هو العشاء الخفيف؟ إنه وليمة لعائلة مكونة من عشرين شخصًا"

ضحكت أجاثا، ثم قالت: "ألم تلاحظي أن عدد المقاعد عشرون؟"

سألتها فرح بقلق: "أهناك مدعوين لهذا العشاء؟"

ضحكت أجاثا، وهي تشير لها بأن تأكل، ثم قالت: "كلا بالطبع، أنا أمزح، يبدو أن جلاديس أرادت أن تثبت لكِ مدى ثراء قصرنا"

ثم ضحكت بشدة لتعبير فرح الجاد، فأردفَتْ: "كلا إن جلاديس لم تعرف ماذا تحبي أن تأكلي، فأفاضت في توفير الأصناف المتنوعة لتأكلي ما تحبين، هيا قبل أن يبرد الطعام"

أمسكَتْ فرح بصحنها وبدأت في تحويل ما اشتهته إليه، وهي تتمتم لنفسها بسعادة.

باب جديد

تناولت فرح كوب العصير على هيئة رشفات قصيرة سريعة، بينما كانت أجاثا ترشف الحليب ببطء، وهي تتأمل رفيقتها، وقد لاحظَتْ لهفتها للحديث، فسألتها بهدوء: "ماذا هناك يا عزيزتي؟"

سألتها فرح بسرعة: "وماذا بعد؟"

ارتفَعَ حاجبا أجاثا ببطء تعبيرًا عن دهشتها، وأطلَّتْ من عينيها نظرة عدم فهمها لمقصدها، فأسرعت فرح بالتوضيح: "لقد أنهينا عشاءنا، فماذا سنفعل الآن؟"

عاد حاجبي لوضعهما الطبيعي، وهي تجيبها: "هذا يعتمد عليكِ؟"

ثم رشفت من كوبها قبل أن تكمل: "هل تريدين الخلود إلى النوم أَم تُفَضِّلين اختيار باب جديد؟"

ردت فرح سريعًا: "باب جديد بالطبع"

ابتسمت أجاثا، ثم قالت: "كنت أعلم هذا، عليكِ الانتهاء من كوبك أولًا قبل أن نذهب"

هزت الأخرى رأسها موافقة، ثم أخذَتْ ترشف ما تبقى من العصير بسرعة

..*.*.*

زفر محمد بقوة، ثم قال بضيق: "هذا لا يُحْتَمَل، إنها لا تعطينا فرصة للراحة"

فرك مصطفى عينيه بظاهر كفه، وهو يقول: "إنك تعتمد على مقاييس وعينا، إنما هي في حالة مغايرة لها قواعدها الخاصة المختلفة عن الوعي"

انفعل دكتور محمد، وصرخ: "أريد أن أنام، سأنهار حتمًا، أريد أن أنام"

دخل دكتور سالم إثر صراخه، وقال: "ما الذي يجري هنا؟ إذا لم تكن تعي أنك في غرفة العناية المركزة، فإني أُعْلِمُكَ أن صوتك أزعج جميع مرضى المستشفى"

اعتذَرَ محمد، وهو خجل، وقال: "إن هذه الفرح ستقودني للجنون، أنا أريد أن أنام"

قال له دكتور سالم بحزم: "أذهب أنت ومصطفى، وناما، وأنا ودكتور وجدي سنحل محلكما، يا لضعف الشباب"

استأذَنَ محمد، وخرج من الغرفة لينام في غرفته، ولكن مصطفى بقى في مكانه، فسأله الدكتور سالم: "لِمَ لم تلحق بصديقك؟"

ابتسم مصطفى بضعف، وأجاب بصوت مرهق، وهو يتطلع لصفاء بحنان جارف: "لا يمكنني أن أتركها أبدًا، إنها زوجتي، كم أشتهي أن تعود لوعيها"

ربت دكتور سالم على كتفه بحنان، وغادر الغرفة تارك إياه ليعود إلى الشاشات متابعًا فرح التي أنهت عشاءها، ووقفت لتحث أجاثا على الذهاب معها.

وقفت فرح بعد أن أفرغت كوب العصير في معدتها، وتطلعت إلى أجاثا تحثها على النهوض، تجاهلتها أجاثا حتى أنهت عشاءها، ثم قامت بتؤدة، وقالت لها مندهشة، كأنما لاحظت وقوفها الآن: "منذ متى، وأنتِ واقفة؟ أَلِهذا الحد متشوقة لرحلة جديدة"

لم تجبها فرح، فاتبعت بمرح: "هيا بنا إذن"

لم تستجب فرح لمرح أجاثا بل احتفظَتْ بوجه عابس يخفي الإثارة التي تشتعل في روحها، وهي تسير خلفها بصمت، حتى وصلا إلى الردهة، فأشارت لها أجاثا لتبدأ عملية الاختيار، تقدمت فرح ببطء تتأمل الأبواب بتمعن، فهي ترغب في مغامرة مختلفة هذه المرة، لا تدري ما تبحث عنه على وجه الدقة، ولكنها تشعر أن هناك نداءًا خفيًا لأحد تلك الأبواب يأسرها، والذي ستعرفه بمجرد الوقوف أمامه.

تعلقت عيناها بالباب الأخير في الصف الأيسر، فسارت نحوه كالمسحورة، فأمامها باب ذو رسوم متحركة ثنائية وثلاثية الأبعاد، بعضها يترك الباب ليؤدي عرضًا خاصًا أمامه، ثم يعود إلى مكانه ليشاهد عرض أحد الرسوم الأخرى، كُتِبَ على لوحة الباب التي صنعت على شكل طريق يخترق أجمة من أشجار الغار "عالم الرسوم المتحركة"

بألوان براقة مشعة، ولكن بطريقة الحروف متتابعة الظهور، ثم الاختفاء بعد تمام الكتابة، كأن هناك من يكتبها، ثم يعود لمحوها.

تدفق الأدرينالين في عروقها، إنه الباب الذي تبحث عنه بالتأكيد، إن مغامرتها المنشودة تبدأ ما أن تخطو بقدمها عقب هذا الباب الساحر، التفتَتْ نحو أجاثا الواقفة خلفها مترقبة قرارها، وقالت بحزم: "لقد اخترت، سأعبر هذا الباب"

نظرت أجاثا نحوها بدهشة، وسألتها بحذر: "هل تنوين حقًا عبور هذا الباب؟، هل تدرين ما ينتظرك خلفه؟"

أجابت فرح بثبات: " أجل سأدخل، بالطبع لا أعلم عما ينتظرني كعادتي مع تلك الأبواب، ولكن أن كنتي تعلمي ما ينتظرني بالداخل، فلتخبريني رجاءًا"

منحتها أجاثا ابتسامة شاحبة، ثم قالت: "إن كان لي أن أعرف ما ينتظرك خلف هذه الأبواب، فإن هذا الباب سيظل مغلقًا عليَّ معرفة ما وراءه"

نظرت لها فرح بعجب، ممتزج بفضول القطة بداخلها، وسألتها بشغف لمعرفة الإجابة: " ولما هذا الباب بالتحديد؟"

ضحكت أجاثا، ثم ردت: "لا أعلم على وجه الدقة، ولكن يكفي أن عالم الرسوم المتحركة حيث لا شيء كما يجب أن يكون، حيث كل شيء ممكن"

ثم التقطَتْ نفسًا عميقًا، ثم سألتها: "والآن، هل ستدخلين؟"

أخذت فرح نفسًا مماثل، ثم أجابتها وهي تتحرك نحو الباب: "أجل، إلى اللقاء"

على بعد خطوة واحدة من الباب، وقبل أن ترفع قبضتها لتطرقه، فهو بلا مقبض للفتح، برزت يد ممسكة بعصاه سحرية، تبعها خروج الجسد كله، لساحرة عجوز متغضنة الوجه، مجففة الجسد، لا شعر لها، ترتدي عباءة سوداء رسم في منتصف الصدر قلب قرمزي كتب عليه بلون أخضر "الساحرة روزي"، تملك العجب من فرح عندما قرأت اسمها الذي يصرخ متناقضًا مع تلك الشمطاء، ولكنها نفضت رأسها طاردة أي شعور ساخر قد يعبر عن نفسه عبر ملامحها، فتغضب منها الساحرة روزي، وتمنعها من الدخول.

لم توجه لها الساحرة أي كلمة، بل لم تنظر لها، والتي ربما كانت بكماء، ونصف عمياء، ولكنها مدت يدها العجفاء ليلمس طرف العصا مقدمة رأس فرح، فيتغير المشهد بأكمله أمام عينيها، ويعاد تجسده مع ظهورها خلف الباب.

وجدت فرح نفسها في مفترق طرق تتوسطه نافورة مياه زرقاء على شكل تمثال لحصان وحيد القرن يقف بشموخ رافعًا قدميه الأماميتين، مصنوعة من الفاينس المصري القديم[٤] ذو اللون الأخضر المزرق، الطريق الأيمن حجري ينتهي بقصر منيف وردي اللون، والأيسر مرصوف لا ينتهي بشيء على مداد البصر، أما الأمامي فهو ترابي وُضِعَت لوحة على بدايته كتب عليها عالم ديزني، والخلفي عبارة عن مدق يمر في منتصف غابة متشابكة الأغصان.

نظرت فرح إلى نفسها متأملة صورتها المنعكسة على سطح الماء الرائق تحت قدمي وحيد القرن، فإذا بها تحولت لرسم ثلاثية الأبعاد - كحال كل ما حولها- ترتدي بذة سوداء كلاسيكية، ورابطة عنق قرمزية قصيرة، وحذاء كلاسيكي ذو كعب رفيع مرتفع، وكانت تحمل بيدها حقيبة مستندات جلدية سوداء، وحقيبة يد محمولة على كتفها قرمزية اللون، من خلفها وقفت الساحرة التي لم تعد كما كانت متغضنة ومجففة بل عادت شابة جميلة شعرها أحمر طويل تحركه الرياح حول رأسها، بشرتها بيضاء مشرئبة بالحمرة، وعيونها زيتونية اللون، وأنفها دقيق، وفمها ذو بسمة واسعة، ترتدي فستان أخضر منفوش ذو ياقة عالية،

وحذاء بلوري شفاف، يدها اليمنى تمسك بعصاها السحرية التي تنتهي بنجمة متعددة الألوان.

انتظرت روزي بضع ثواني تاركة لفرح استيعاب الأمر، ثم قالت بمرح: "أهلًا وسهلًا بكِ في عالم الرسوم المتحركة، أتمنى أن تقضي وقت لطيف معنا، أنا الساحرة روزي، مرشدتك"

ابتسمت فرح وهي تستدير لمواجهتها، وقالت: "مرحبًا بكِ أيتها الساحرة روزي"

بادلتها روزي الابتسام، ثم قالت: "أمامك خمس خيارات لمغامرتك هنا، هل تسمحي لي بأن أعرفك بهم؟"

هزت فرح رأسها موافقة، فثرثرت روزي بطريقتها مرحة: "الطريق الأيمن يؤدي إلى مغامرة إحدى الأميرات لا أدري أي أميرة هي، فهذا يعود لكِ وللساحرة موري سيدة هذا القسم، وبالمناسبة فهو قسم ثنائي الأبعاد، وهي ساحرة بديعة سمراء البشرة، وسوداء الشعر والعينين، تحب ارتداء الأثواب الزاهية التي تزيدها فتنة، أما الأيسر فهو يؤدي إلى عالم الرسوم ثلاثية الأبعاد الحديثة، في الحقيقة أنا لا أحبه، أرجو ألا تأخذي ذلك في الحسبان، يتحكم في هذا العالم الساحر بوران، وهو أبيض البشرة بشكل يوحي بالمرض، له شعر أشقر باهت، وعينين خضراوين مرهقتين، يحب ارتداء البذة الكلاسيكية الغربية السوداء."

التقطت نفسها بسرعة، ثم أكملت: "الطريق الأمامي يأخذك إلى عالم ديزني، لا أخالك لا تعرفيه، فقط انظري إليه ستجدين ميكي ورفاقه يلوحون لكِ مرحبين، هذا العالم لا يتحكم به أحد سوى والت ديزني مؤسسه، وهو ذاك الجالس وسط الشخصيات التي رسمها، وأحبها أطفال العالم على مر العقود، وفيه تختلط الرسوم الثنائية والثلاثية الأبعاد، أما الخلفي فيقودك إلى إحدى الأساطير التي حولت إلى أفلام رسوم متحركة، مثل روبن هود، وشنوبي، وغيرها من الرسوم ثنائية الأبعاد، يتحكم في هذا العالم ساحر ياباني عينيه شديدة الضيق والصغر، حليق الرأس، يرتدي الكيمونو الرمادي، ومتسلح بريشته السوداء يدعى يووتا، وأخيرًا الطريق الخامس عبر مياه البحيرة، والذي يصحبكِ إلى إحدى مغامرات عالم البحار ثنائية وثلاثية الأبعاد، لا أعلم عن هذا العالم أي شيء مع الأسف، فأنا لا أنزل إلى هناك، فعروسة البحر المتحكمة به شديدة الغرور والصلف، وترفض الحديث معنا إلا بِلُغَتِها التي لا يفقها أحد هنا، لذلك هي منبوذة"

-" من هي تلك المنبوذة"

التفتت فرح وروزي إلى مصدر الصوت، فإذا بعروس بحر ثلاثية الأبعاد ذات شعر أزرق، وذيل ذهبي، وبشرة لوحتها الشمس، ترتدي فستانًا قصيرًا، وتاجًا فضيًّا تتوسطه ماسة كبيرة سوداء، تمتطي حصانًا وحيد القرن، كانت ملامحها تنطق بالغضب، والرغبة في الثأر.

ازدردت روزي لعابها، وتماسكت في سرعة، وقالت بتهكم: "لم أكن أعرف أنكِ تجيدين الحديث مثلنا"

قفزت عروس البحر من فوق تمثال وحيد القرن لتقف على ذيلها بِخُيَلاء، وردت بغضب: "هل جُنِنْتي أيتها المأفونة؟ كيف تجرؤين على محادثتي بهذا الأسلوب؟ أنا أيكز سيدة عالم البحار"

وضعت روزي يديها على خصرها متحدية، وهي تجيبها بغضب مماثل: "أن كنتِ سيدة عالم البحار، فأنا سيدة هذا العالم ومرشدته، ولا يجوز لك الحديث معي بتك الطريقة المتعجرفة يا هذه"

اشتعلت عيني إيكز بنيران حنقها، وأشارت بيدها إلى المياه، فاندفعَتْ في شكل شلال تجاه روزي لتغرقها، لم تتحمل الأخيرة الإهانة، فلَوَّحَتْ بعصاها لتدب الحياة في حصان وحيد القرن ليقوم بضرها بقرنه، فسقطت على وجهها، كانت فرح تشاهد ما يدور في فزع، وحاولت عابثة أن تفكر في طريقة لتفرق بينهما، غير أن عقلها لم يستجب لها مفضلًا عدم التدخل في هذا العراك.

فجأة انفتحت حقيبة مستندات فرح ليخرج منها شبح صغير ثنائي الأبعاد متدثر بملاءة بيضاء، وهو يصيح بصوت رفيع: "عندما ينشب أي شجار يجب أن تنادي على توجو"

بصوت الطيران الخاص بالأشباح كما اعتدنا في أفلام الرسوم المتحركة الناطقة انطلق تجاه أيكز وروزي، وهو يشجعهما على العراك بعنف

أكثر، لم تحتمل فرح مشاهد العنف، فولولت مستنجدة، لم تكن قد أنهت صرختها حتى ظهر كل من موري وبوران ويووتا وديزني حولها، كأنما نبتوا من العدم، احتضنتها موري بحنان مهدئة، بينما انطلق بوران ويووتا ليفرقا روزي وإيكز، في حين وقف ديزني واضعًا يديه في جيبي سرواله، وقال ببرود: "ارحل يا توجو"

ثم أخرج يده اليمنى ليشير بسببابته بملل، فاختفى توجو بصوت فرقعة شديد، مخلفًا غمامة سوداء كتب عليها (سأعود بعد قليل)، باختفاءه هدأت حدة العراك، وقفت الفتاتان على جانبي والت، على يمينه روزي يمسك بها يووتا بحزم، وقد اتسخت ملابسها، وتداخل الطين بخصلات شعرها الذي تشابك في شكل عجيب، وعلى يساره إيكز فقد أمسك بها بوران بغلظة، وقد تمزق فستانها القصير، واحترَقَ شعرها المنتفش جراء خروج الدخان من بين خصلاته.

زفر والت بضيق، ثم التفَتَ نحو فرح، وهو يمسح على شعرِهِ الرمادي، وهو يقول: "فلتقبلي اعتذاري يا عزيزتي، ولتنسي ما حدث، وابدإي رحلتك في عالمنا"

صرخت أيكز بِغِل: "تنسى ما حدث"

عاد لها والت، وقال بحزم: "يكفي يا إيكز، دائمًا ما تفتعلين المشكلات دون سبب واضح، يبدو أنك مستمتعة بكونك منبوذة هنا"

تمتمت بألم: "منبوذة"

تركها والت، ووجه حديثه إلى فرح المصدومة: "عزيزتي فرح أي الطرق ستسلكين"

جاوبته فرح بصوت مشروخ: "سأذهب مع موري"

غضب الجميع ماعدا روزي وموري التي اتسعت بسمتها، وضمتها أكثر، بينما ضحك والت قائلًا: "لقد غرك حنان موري، حسنًا إذن أتمنى لكِ رحلة سعيدة"

ثم قال لموري: "أذهبي بها يا موري، ثم عودي في وقت لاحق لاجتماعنا في المكتب الأسود، فسوف نرفع مشكلة إيكز وروزي لنجد حلًا جذريًا لها"

صرخت إيكز وروزي في صوت واحد وبرعب: "لا"

سألت فرح بخوف: "ماذا تعني سيد ديزني؟، ولماذا هن خائفات؟"

ابتسم والت بمرارة وقال: "هذا يعني اختفاءهما من عالم الرسوم المتحركة إلى الأبد"

ثم قال بقوة: "هيا يا موري"

ضمت موري فرح بقوة، لتندمجان معًا، ثم تختفي داخلها بسرعة.

يبدو أن المرور من خلال موري لم يكن بوابة للدخول إلى الحكاية فقط، بل كان كمزود البيانات، فما إن عبرت من خلال موري حتى عرفت أنها الأميرة فيرونيا ولية عهد الملكة حيفوريا حاكمة مملكة الشعور، تلك المملكة التي تميزت بين جميع ممالك عالم الحكايات بمنتجاتها السحرية من النسيج والسجاد، الذي يسهل تكبيره وتصغيره إلى أي مدى يراد، كما أن يتلون كالحرباء حسب الحاجة، إلى جانب تغير تصميمه بمجرد التحدث إليه بما هو مطلوب منه، كانت هذه الإمكانات السحرية سببًا في ثراء تلك المملكة الصغيرة، ولكن ما هو السر وراء ذلك؟

يكمن السر وراء ذلك هو شعر ولية العهد، يبدو الجواب أكثر غموضًا من السؤال، ولكن ألم يكن اسم المملكة هو الجواب بعينه، يرجع اسم المملكة إلى كون أن منصب الملكة وولية العهد يحصر في الطفلة الثالثة للأسرة الحاكمة، حيث تولد الفتاة بعد ولدين، أحدهما ذكر على الأقل، وهي تمتلك قوة سحرية خاصة متمثلة في شعرها، حيث تولد برأس خالي من الشعر، ولكن عندما تتم السنة الأولى يصل شعرها للمتر، فيتم قصه في عيد مولدها، ليوزع على أصحاب الحرف من النساجين المهرة، ويتساوى طول شعرها بالأمتار مع عدد سنواتها حتى تتم السبعة عشر عامًا.

في هذا اليوم يتم جز شعرها في احتفال مهيب تشارك فيه المملكة بأسرها، ولربما قدم بعض الحضور من الممالك الأخرى، والذي يظل على مدار اليوم، لينتهي بإلقائها لمشطها الذهبي في مياه نهر "توفي"، وعلى من يجده من الرجال غير المتزوجين أن يحضره إلى القلعة، ليتمم زواجه بالأميرة، ثم يتمم تتويجها كملكة، أما أمها فتترك القلعة الحاكمة مع بقية أسرتها إلى حيث قلعة الأمهات في طرف المملكة الشمالي، وبالتتويج يتوقف قص شعر الملكة حيث يفقد قواه السحرية، ويظل الصناع في استعمال الشعر الذي قص وعمرها سبعة عشر عامًا حتى تتم ولية العهد الجديدة عامها الأول.

لا توجد هناك مدة محددة ليتقدم الفائز بالزواج بالأميرة، فقد يعود بعد ساعة، أو يوم، أو شهر، أو حتى عام، أو يزيد، فهذا لا يهم، فالتتويج لا يتم إلا بالزواج، وفي هذه الحالة تستمر الملكة في الحكم، حتى تتزوج ابنتها، وإن فُقِدَ مشطها إلى الأبد، أو لم يأتِ من وجد المشط بعد عامين تُعْزَل وتُعَيَّن ولية العهد مكانها أختها التي تليها، والتي يظهر على شعرها القدرات السحرية، وغالبًا ما تكون الأخت السادسة، وقد لجأت أغلب الملكات لتتوقف عن الإنجاب بعد ولادة ولية العهد حتى لا توجد لها منافسة في الحكم، وإن لم يكن لها أخت، فيتم تزويجها من أحد الأمراء، ولا تتوج وتظل أمها تحكم حتى تولد حفيدتها والتي تعين ولية عهد خلفًا لوالدتها، والتي غالبًا ما تكون الابنة الأولى والوحيدة.

فتحت فرح عينيها لتجد كل ما حولها عبارة عن رسوم ثنائية الأبعاد، فخمنت أنها كذلك، أغلقت عينيها لبرهة، ثم فتحتها لتجد نفسها مستلقية على فراش فخم على شكل فراشة وردية ضخمة، وله أربع مراتب متدرجة الاتساع، مختلفة الألوان، متدثرة بغطاء ذهبي مزين برسوم لزهور اللوتس البيضاء، يحيط بفراشها ستائر لا تكف عن الحركة شفافة ذات رسوم سماوية لسحب وأمطار، من بينها تتخلل أشعة الشمس القادمة من النافذة، التي تتوسط الجدار الشرقي للغرفة، كانت فرح تستمتع بالكسل، فتثائبت مغلقة عينيها، ثم تقلبت لتعطي للشمس ظهرها.

ارتفعت طرقات مهذبة على باب غرفتها، فتململت فرح، ولم تجب الطارق، زادت حدة الطرقات يتبعها صوت مهذب لمربيتها العجوز جيرانا المشهورة بمربية الملكات تناديها باسمها، حاولت فرح تجاهل الأصوات حتى صمتت، وتوقفت الطرقات، تنفست فرح الصعداء، وابتسمت بسعادة بالغة، فلقد تركوها تستمتع بكسلها لفترة أطول، غير أن كل هذا تلاشى مع طرقات حازمة يتبعها صوت والدتها الملكة حيفوريا تناديها، ثم فتحت الباب يتبعها المربية العجوز وبعض الأميرات ووصيفات القصر.

هبت فرح من فراشها، وجرت نحو والدتها لتقبل يدها في احترام وتوقير، قالت لها الملكة حفوريا في تأنيب: "دأبك الكسل يا فيرونيا، كان يحب أن أسميك كسلاونيا لا فيرونيا"

ضحكت فيرونيا بقلب خالي، ثم قالت بمرح: "كان سيبدو مثاليًا يا أمي"

ضحكت الجميع بقلب خالى ما عدا الملكة، والأميرة الصغيرة هيرانا ذات الأربعة عشر عامًا، الأخت السادسة لفيرونا.

قالت الملكة بحزم: "فيرونيا إن كان كسلك مقبولًا في الأيام الماضية، فهو غير مقبول اليوم، اليوم عيد ميلادك السابع عشر، أرجو ألا تكوني نسيتي ذلك"

ابتسمت فيرونا، وقالت بحزم مشوب بالمرح: "كلا بالطبع يا أمي، فاليوم هو اليوم التي تنتظره كل ولية عهد لمملكة الشعور"

استدارت الملكة منصرفة، وهي تقول بحزم: "أرجو ألا تكوني نسيتي واجباتك"

جرت فيرونيا نحو أمها، واحتضنتها من الخلف، ثم قبلتها، طبطبت الملكة على وجنتها، ثم انصرفت، تاركة فيرونا في عهدة المربية العجوز والأميرات والوصيفات.

بمغادرة الملكة حملت الأميرات والوصيفات فيرونيا إلى حمام القصر الماسي، وقد نقش على بابه بخط رشيق "حمام السابعة عشر"، والذي يستعمل مرة واحدة في عمر ولية العهد، ولا يستعمله سواها، كانت بوابة الحمام من الألماس الحقيقي ذو اللون الوردي[٥] المشطوف بشكل خاص ليشتت الضوء عبر فتحة الدخول ليعطي انطباعًا سحريًا، كان الحمام من الداخل شديد الاتساع كأنه قصر داخل القصر به حمامات للسباحة ذات مياه مختلفة الألوان والروائح الذكية على مستويات مختلفة يتنقل بينهما عبر سلالم ضخمة، يغطي كل منها بخار ذو لون أفتح من لون الماء المملوء بها المغطس، كانت جدران الحمام مصنوعة من المرايا ذات الأطر المذهبة، أما سقف الحمام، فكان يمطر ورق شجر أو بالونات أو حلوى أو شيكولاتة أو جواهر حسب كل حمام.

أُدْخِلَت فيرونا للحمام الأول في الطابق السفلي المعروف بالحمام الأزرق، وهو مغطًّى بخيمة متعددة الألوان كقوس قزح، ولكن هناك فتحة يخرج منها شعرها الطويل لتتناوله الوصيفات وتغسله في الحمامات الأعلى والتي تنزل من مستواها لتصل لمستوى الحمام الأول ليتم غسل الشعر بماءه، وزعت الأميرات نفسها مع الوصيفات على الحمامات، في حين دخلت المربية جيرانا وبعض الوصيفات مع فيرونا،

بينما تسللت هيرانا خارج الحمام، وقلبها ممتلئ بالحقد، لتضع خطتها موضع التنفيذ.

بعد عدة ساعات كانت فيرونيا تقف أمام أكبر مرايا الحمام المعروفة بالمرآة الملكية، لترى نفسها لأول مرة، رسمة ثنائية الأبعاد لفتاة شديدة البياض، ذات عيون شديدة السواد، غزيرة الشعر حالك اللون، ملامحها لطيفة تشع بالبراءة والجمال، ترتدي فستانًا ذهبي اللون منفوش، مطبوع عليه بعض الرسوم الياقوتية لريشات وبرية، وحذاءً مصنوعًا من الألماس الوردي ذو كعب شديد الارتفاع.

أخرجت المربية العجوز من حقيبتها مشطًا ذهبيًا عملاقًا نُقِشَ عليه اسم فيرونيا، ورُصِّعَ بالأحجار الكريمة على شكل فراشة، أُجْلِسَت فيرونيا على مقعد ضخم بلا ظهر، وأمسكت بالمشط لتمشطه، ثم صففته على شكل فراشة عملاقة، وتضع المشط في منتصفها إيذانًا منها بانتهاء تزين ولية العهد، وبدء الاحتفالات.

كانت مملكة الشعور قد تزينت بالفراشات متعددة الألوان والأحجام، وهو شعار ولية العهد فيرونيا، وقد رُسِمَ على جدران المنازل والأسوار صور لولية العهد في أعياد ميلادها الستة عشر السابقة على الترتيب، كأنه فيلم سينمائي عن حياتها، فرشت الطرقات المعبدة بالرمال المحناة المختلطة بالقرنفل والفل والياسمين، أُغْلِقَت الحوانيت، وارتدى الرجال المتزوجون والأطفال الزي الرسمي للمملكة، وهو عبارة عن سروال فضفاض أسود اللون، وقميص واسع الأكمام لونه أبيض، وطربوش أزرق ذو زر فضي، بينما ارتدى الرجال والشباب الغير المتزوجين بنطالًا كحليًا ضيق الأرجل، وقميصًا رماديًا بلا أكمام، وطربوشًا بلا زر لونه أصفر، وكالرجال تزينت النساء والفتيات بأطواق عليها فراشات زاهية الألوان وفساتين منفوشة موحدة ذات لون أخضر رُسِمَت عليها فراشات صفراء، تكدست الشوارع بأهالي المملكة والضيوف خاصة عن مخارج حمامات المدينة الخمس التي كانت تعمل بجل طاقتها على غير العادة.

توسطت الشمس كبد السماء، فانطلقت أبواق القلعة في وقت واحد معلنة بدء رحلة الأميرة فيرونيا لتحية شعبها، كانت الأميرة تجلس في عربة مكشوفة على شكل قارب، لونها بنفسجي، يجرها سبع خيول بيضاء

ذات شعر ذهبي طويل بلا قائد، فالجياد تعرف طريقها جيدًا، بسرعة رهيبة كأنها تطير ركضت الجياد على المنحدر الذي يفصل القلعة التي طليت اليوم باللون الذهبي، والبوابات الزمردية المتخذة شكل الفراشات اليوم، والتي طارت في الهواء لتفتح الطريق للعربة لتبدأ الاحتفالات.

كانت الملكة حيفوريا تشاهد انطلاق عربة ابنتها من خلف نافذة حجرتها بصحبة ابنتها هيرانا، وقلبهما يغلي من الحقد والكراهية، ما إن غابت العربة حتى رمت الملكة نفسها على أقرب مقعد، وهي تبكي بغيظ، اندفعت نحوها هيرانا، وقالت بكراهية: "لن تتوج فيرونيا أبدًا يا أمي"

رفعت الملكة عينيها نحو ابنتها، فأكملت ابنتها: "ستظلين الملكة لثلاثة أعوام أخرى أعدك بهذا"

سألتها الملكة بحسرة: "وكيف هذا يا هيرانا؟، فمع غروب الشمس ستلقي فيرونيا مشطها الذهبي في نهر توفي، وسيلتقطه أحد الرجال، ألم تري عددهم إنهم يفوقون المئة؟ لم يحدث هذا أبدًا منذ نشأة مملكتنا"

ضحكت هيرانا بحقد، ثم سألتها بتهكم: "وهل تظنيني تخلفت عن حمام السابعة عشر لألعب يا أمي؟"

مسحت الملكة دموعها، وسألتها بتملق مشبوب بالفضول: "كلا بالطبع، هيرانا يا قلب أمك الأسود، يا أثيرتي التي تعمدت إنجابها لمثل هذا اليوم، فلم يكن زواجي الثاني بأبيكِ إلا لهذا، أعلم قدراتك جيدًا، ولكن أخبريني ماذا فعلتي؟"

طرب قلب هيرانا لسماع مدح أمها، ثم أخرجت من بين طيات ملابسها المشط الذهبي الخاص بفيرونيا، وأجابت بفخر: "لقد سرقت مشطها الذهبي، ووضعت بدلًا منه نسخة زائفة، ما أن تلمس الماء حتى يذوب طلائه الذهبي، وينكمش حتى يختفي، وبذلك لن يجد أحد مشطها الذهبي أبدًا، لقد وعدتك يا أمي، وها أنا ذا أبر به"

ضحكت هيرانا بهستريا، تبعتها ضحكات أمها المجنونة، وهما تحتضنان بعضهما البعض.

جلس الأطباء مبهورين بما يرون على شاشات الأجهزة أمامهم، فما يرونه ينافس أفلام الرسوم المتحركة دقة وبراعة وحبكة، حتى أن والت ديزني قد تتملكه الغيرة إذا رأى ما يرونه الآن.

انتزعت طرقات منتظمة على الباب انتباههم، أذن مصطفى بالدخول لصاحبها، فإذا بها إحدى الممرضات التي تحمل له رسالة من والده يطالبه فيه بسرعة الحضور إلى مكتبه.

بعد أن أوصى مصطفى رفاقه على حالة فرح، توجه إلى مكتب والده، فإذا به يصطدم بمحمد الذي كان يفرك عينيه في حماس ليطرد بقايا النعاس منها، أمسك مصطفى بساعد صديقه وهو يحث الخطى، حتى وصلا إلى مكتب والده، كان والده يقف بجانب صديقه دكتور سالم، وطبيب شاب صغير السن أسمر البشرة، ودودو الملامح، ذو جسم ممتلئ وبطنه العملاق تبرز أمامه لا يعرفانه.

أشار لهما والد مصطفى أن يجلسا، وهو يقول: "يبدو أننا نواجه تطور جديد، ربما يفيدنا في إفاقة فرح"

قفز مصطفى واقفًا بحماس، فأكمل والده: "لقد تمكن الدكتور إسلام محمود الملتحق حديثًا بمشفانا، من الانتهاء من جهاز مشاركة الأحلام،

والذي يتيح للطبيب المعالج مشاركة مريضه الحلم، وتوجيهه، وإفاقته عند الحاجة"

قال مصطفى بلهفة: "هيا بنا، فأنا سأدخل إلى عالمها الآن، لأعيدها إلى وعيها"

تنحنح إسلام، وقال بنبرة مهذبة: "دكتور مصطفى إن جهازي يعمل مع حالات النوم الطبيعية، ولا ندري هل سيحقق المطلوب منه في حالة فرح أم لا؟، لذلك دعنا ندرس كافة الاحتمالات"

قاطعه مصطفى بانفعال: "كلا لن ندرس شيئًا، فجهازك جاهز للعمل، وأنا كذلك، لا داعي للتأخير"

ثم استدرك سائلًا بخوف: "أم أن هناك خوف من إيذاء فرح؟"

أجابه إسلام بهدوء: "كلا بالطبع، فعلى أسوء الفروض، فهو لن يعمل"

أمسك مصطفى كتفي إسلام، وهو يقول: "بالله عليك لنبدأ الآن، لن يمكنني الأنتظار أكثر من ذلك، سأجن إن لم تفق، وتعد إلى وعيها"

حسم دكتور سالم الجدال، وقال: "هيا بنا إذن"

انطلقوا من فورهم إلى حيث فرح، ومعهم جهاز مشاركة الأحلام، وفي عشر دقائق كان مصطفى قد دخل في سبات صناعي بعد أن استمع إلى تعليمات إسلام.

كان عقل مصطفى مغلف بالظلمة الحالكة، مُطْلَقًا الخوف في قلبه من مكامنه، لا يرى بصيص ضوء، ولا مَنْفَذَ للخروج أو لدخول لعقل فرح،

عقله بدأ يستسلم للفزع، وتعليمات إسلام تبخرت من عقله، حاول استرجاعها، ففشل لثوانٍ مرت في الظلام كالقرون، لم يحتمل الانتظار في هذا المحبس، فصرح باسم درته، وكينونته فرح، فإذا بمنفذ للنور يغمره من أعلى بقوة، فيغمض عينيه تلقائيًا، ثم يفتحهما ليرى نفسه يقف أمام قصر أجاثا، وهو منبهر بما يرى.

نزلت أجاثا كريستي درجات السلم، لتستقبل مصطفى، وهي تقول مرحبة: "مرحبًا بك أيها الطبيب، حمدًا لله أنك استطعت أن تصل إلى هنا بسهولة"

ابتسم مصطفى بضعف، وسألها: "شكرًا لكِ أيتها الكاتبة الجليلة، هل يمكن أن تصليني بفرح؟"

سكتت أجاثا للحظة، ثم ردت بتجهم: "أخشى أنني لا يمكنني أن أوصلك لها"

نظر لها مصطفى برعب، فأردفت: "إن فرح داخل غرفة عالم الرسوم المتحركة، وهذا العالم كما تعلم غير متوقع، فحتى أن دخلت من نفس الباب الذي دخلت منه فرح، فلن يمكنك الوصول إليها"

صرخ مصطفى، قائلًا: "بعد كل هذا الجهد لأصل إليها، أفشل، ماذا أفعل؟ كيف أصل إليها؟، كيف أعيدها إلى وعيها؟ رحماك يا ربي"

حاولت أجاثا تهدئته قائلة: "دكتور مصطفى أرجوك تمالك نفسك قليلًا، حتى يتسنى لنا التفكير بهدوء، هلا جلست معي في الحديقة"

زفر مصطفى بقوة عدة مرات حتى يسيطر على نفسه، ثم سار خلف أجاثا التي تصرفت كمضيفة جيدة، وأجلسته على المقعد، ونادت على جلاديس، وهي تجلس على يساره، قدمت جلاديس في خطوات معتدلة،

وهي منتصبة القامة، سألته عما يريد أن يشرب، رفض مصطفى بشكل قاطع، إلا أن أجاثا طلبت منها أن تحضر كوبين من عصير الليمون المنكه بالنعناع الأخضر.

بعد أن وضعت جلاديس الكوبين أمامها، وانصرفت بهدوء، أشارت له أجاثا أن يشرب العصير، وهي تقول: "أن عصير الليمون الممتزج بزيت النعناع يساعد على تهدئة الأعصاب"

أمسك مصطفى الكوب بيده، وحاول ارتشاف بعض منه مجاملة لها، ألا أنه فشل، فأعاد وضع الكوب على الطاولة.

حاولت أجاثا أن تهون الأمر عليه قائلة: "أعلم ما هو شعورك الآن"

هب مصطفى واقفًا، وهو يصرخ: "كلا أنكِ لا تعلمين شيئًا عما أشعر به"

نظرت له أجاثا بهدوء، وقالت بحزم: "ربما لا أعلم، ولكن لنكن عمليين، أن الصراخ لن يجدي نفعًا، هلا جلست من فضلك، دعني أساعدك"

سألها مصطفى بتوجس: "هل يمكنك مساعدتي حقًا؟"

قالت ببرود: "أجل يمكنني ذلك، أعدك بأني سأساعدك"

قال لها بشك: "ولكنكِ منذ قليل أخبرتي أنه لا يمكننا الوصول إليها"

ردت بتجهم: "بل قلت لا يمكنني أن أوصلك إليها، ولكني أعرف من يمكنه ذلك"

سألها بلهفة: "من هو؟"

ردت ببساطة: "إنـها أيكز"

سألها مصطفى بغرابة: "أيكز، ومن هي أيكز هذه؟"

ابتسمت أجاثا، وقالت: "هي عروس البحر المنبوذة، والتي طردت من عالم الرسوم المتحركة بعد دخول فرح مباشرة"

سألها بتسرع: "وأين نجدها؟"

وقف برشاقة، وهى تقول: "هناك في البحيرة خلف تلك الأجمة"

ركض مصطفى نحو المكان الذي أشارت إليه أجاثا، فوجد بحيرة كبيرة لونها رمادي، سطحها هادئ بل ميت، فلا نسمة عابرة تحرك سطحه، سأل بغيظ: "أين هي أيكز؟"

لم يجد رد، فتنبه لعدم لحاق أجاثا به، فقال بحنق: "تبًا لبرودها الإنجليزي، دائمًا هكذا الإنجليز لو سقط نيزك فوق رؤوسهم لما تحركوا بسرعة للنجاة بأرواحهم"

التقَطَ نفسًا عميقًا وأَخْرَجَهُ ببطء، ثم قال لنفسه: "يبدو أني بحاجة لأن لأقترب من البحيرة أكثر، وأناديها"

اقترَبَ من البحيرة حتى تلاقى مع انعكاس صورته على سطحها، لينتبه لهيئته في عالم فرح، فإذا بملامحه على الرغم مما تحمله من قلق ألا أنها أكثر وسامة من المعتاد، حتى عيناه البنية كانت أكثر دفئًا ورقة،

وجسده الرياضي كان أكثر قوة، فعضلاته تبرز من خلف زيه الرياضي الذي يرتديه.

هز رأسه يمنة ويسرة ليستعيد تركيزه، فهو في مهمة محددة لا يجوز التواني عنها، لينادي على أيكز، تردد صدى صوته في جنبات البحيرة دون أن يجيبه أحد، عاد ينادي عليها بصوت أقوى حتى أن سطح البحيرة اهتز، ولكن دون إجابة.

-"إنها لا تسمعك، أو بالأحرى لا تهتم بسماعك، الطريقة المثلى لمقابلتها هي الغوص في البحيرة" قاطعته أجاثا في برود

التفَتَ نحو أجاثا بسرعة، وهو يقول بخجل: "أنا لا أجيد الغوص أو السباحة"

قاطعه هذه المرة موجات البحيرة التي تضرب قدميه، في مد وجزر سريعة، تبعه ظهور أيكز – بشكلها المعروف- التي قالت بسعادة: "لا داعي لذلك، فأنا هنا"

ابتسمت أجاثا لها مرحبة، فبادلتها الابتسام، ثم أكملت وسط ذهول مصطفى: "كما أنه لا داعي لأن تشرح لي شيء، فأنا سأساعدك على الوصول إلى فرح"

سألها مصطفى ليتأكد من مقصدها: "حقًا ستصلينني بفرح؟"

أجابته أيكز: "أجل بالطبع سأساعدك، وبلا مقابل، سأعتبره ردًا على طردي من عالم الرسوم المتحركة"

تجاهل مصطفى أسبابها التي دعتها لتساعده، وسألها بلهفة: "وكيف ستصليني إليها؟"

قالت أيكز، وهي تشير بيديها في سعادة: "هكذا"

فغمرت مياه البحيرة مصطفى في لحظة.

بينما كانت هيرانا ووالدتها حيفوريا تضحكان، كانت جيرانا تقف خلف الباب الجانبي للحجرة الواصل بين غرفة هيرانا وأمها، متخفية خلف الستائر تستمع إلى كل ما يقال بتجهم، فمنذ أن ولدت فيرونيا وهي تعلم بأنها ستواجه هذا الموقف عند تمامها السابعة عشر، لذلك صنعت مشطين ذهبيين لهما نفس المواصفات، تركت الأول يقع في يدي هيرانا، أما الثاني فقد زينت به شعر فيرونيا، والآن يقبع في قاع نهر توفي المشط المزيف بعد أن كسرته دون أن يراها أحد.

تسللت جيرانا من مخبأها بحذر شديد، حتى وصلت إلى السلم الخارجي لأجنحة الملكة والأميرات، وهي تتلفت كل لحظة لتطمئن أنه لا يتبعها أحد، تنفست الصعداء عندما وجدت نفسها وحيدة، ثم عدلت من هندامها، وتوجهت إلى الإشراف على الاستعدادات للحفل، فالآن لم يعد هناك ما تقلق بشأنه.

..*.*

في غرفة المتابعة كان الأطباء منقسمين إلى فريقين، يقومان بنفس المهمة من متابعة الحالة الفيزيائية، وما يدور داخل حلم كل من فرح، ومصطفى.

قال إسلام بحماس: "رائع، إن الأمور تسير كما خطط لها، بلا عقبات، ولله الحمد"

قال محمد بقلق: "لا يمكنني أن أقول ذلك، أو أتفاءل مثلك"

سأله إسلام: "ما السبب وراء ذلك؟"

أجابه محمد وهو يهز كتفيه: "صدقني لا أدري، فما رأيته منذ قدومي لمتابعة حالة فرح جعلني متشائمًا"

قاطعه الدكتور وجدي: "أنا على خلافك يا محمد، فعندما تصل لمثل عمري، وترى ما شاهدته من معجزات، ستجد قلبك ممتلئ بالأمل والثقة في الله"

أكمل دكتور سالم بثقة: "ستُشْفَى فرح بإذن الله تعالي، وستستعيد وعيها قريبًا"

قاطعهم محمد في خوف: "ألا يشغلكم ما قد يصيب مصطفى؟ أنه يخاطر بنفسه في المجهول، ربما لا يمكنه العودة، ولربما أفاقت فرح، وغاب هو عن الوعي، ولربما ضاع كليهما"

نهره دكتور سالم بعنف: "كف عن هذا الهراء يا محمد"

ارتجف قلب دكتور وجدي من الرعب، لكنه حاول التغلب عليه ألا أن نبرات صوته المهتزة خانته، وهو يقول: "فلندعوا الله أن يعودا لنا سالمين عما قريب"

..*.*.*

تملكت السعادة قلب فيرونيا، وهي تسير بعربتها بين جموع شعبها، والكل يحَيِّيها بحب حقيقي، النساء والفتيات تلقي بالفل والنرجس والياسمين والورد البلدي والقرنفل والتيوليب والجلاديولس والشانتال والأوركيد عليها، وهن يغنين بحماس:

لقد أتمت فراشتنا السابعة عشر ربيع

وغادرت مخدعها الصغير أخيرًا

وتزينت كعروس ليلة زفافها

ومرت على بيوتنا لتهدينا

أعطتنا بعضًا من شعرها لنحيا

ووهبتنا من الأمل الكثير

وغمرتنا بحبها ملا ينتهي ولا يطير

فنحن لسنا شعبها فقط

بل نحن منها ولها نعيش

بينما كان الرجال المتزوجون والصبية ينثرون حبات الحناء المغموسة في العطور، وهم يهتفون باسمها، كان الرجال غير المتزوجون يطلقون سراح مئات الفراشات لتطير حولها.

ما إن وصلت العربة إلى الساحة الكبيرة المطلة على نهر توفي الذي يشطر مملكة الشعور إلى نصفين متساويين لذلك سميت الساحة "مشطورة" حتى تحولت إلى منطاد متعدد الألوان اندفع بالأميرة نحو القصر المشيد فوق النهر المعروف بقصر التتويج، لتختفي عن الأنظار، بينما تحركت الخيول في شكل صف واحد إلى خارج الساحة متجهين نحو الإسطبل الخاص بهم في القصر الملكي.

اليوم اختلفت الساحة عن عهدها، فقد حولت لمسرح كبير متعدد الطوابق، مقسوم على الضفتين، الجزء الأيمن خصص لضيوف المملكة بداية من مملوك الممالك المجاورة، وحتى عابري السبيل، ولكن امتدت منه منصة كبيرة يقف عليها الرجال غير المتزوجين بعد أن أبدلوا ملابس، برداء سباحة يشبه بذات الغوص لونها أزرق زهري، أما الجزء الأيسر فقد جلس فيه شعب المملكة على هيئة أسر يفصل بينهم حاجز حريري قرمزى اللون.

استوى الجميع على مقاعدهم، فانطلق صوت نفير عالٍ تبعه دخول الضباط يتبعهم الجنود في زيهم الرسمي المكون من قطعتين لبذات بنية اللون ذات خطوط تختلف ألوانها تبعًا لرتبهم، شكل الجنود حول القصر

شكل فراشة عملاقة رمز الأميرة فيرونيا، بينما اصطف الضباط في صفين على سلالم القصر.

صدحت السماء بموسيقى شرقية ساحرة، اندمجت فيها نغمات الآلات الوترية للقانون والعود والربابة والقيثارة، مع الآلات الإيقاعية مثل الرق والطبل والدف، والآلات الهوائية كالناي والمزمار والأرغول والأكورديون، من فوق المنصة الممتدة من القسم الأيسر للمسرح، حيث تسيد الهارب المشهد ومن خلفه جلست الفرقة الموسيقية التي ذابت مع ما تعزفه من ألحان هي وجموع الحاضرين.

في داخل القصر كان الجميع أشبه بشغالات النحل، الجميع يركض لينهي ما على عاتقه من مسئوليات جِسام، بدءًا من فيرونيا التي ما إن دخلت حتى نادت على مربيتها جيرانا لتعيد تجهيزها للحفل، وحتى أصغر خادمة في المطبخ، شلال من الوصيفات والخادمات أقبَلْنَ خلف جيرانا إلى المخدع الملكي حيث تنتظرهم فيرونا، فبدلوا لها ثيابها لترتدي ثوب عرس مصنوع من خيوط حريرية مشغولة بإبَر الكروشيه، موشى بخيوط السيرما الفضية مبطن بالستان الأبيض، وشعرها الأسود أعيد تصفيفه، ليأخذ كل متر فيه شكل لأحدى الفراشات، ليتحول شعرها لسبعة عشر فراشة مختلفة خلف بعضها البعض، انتقلت فيرونيا ومن خلفها الوصيفات إلى قاعة مرآة التتويج الكبرى، لتلقى الأولى نظرة أخيرة على هيئتها قبل الخروج إلى الجموع المحتشدة بالساحة.

ما أن أنهت فيرونيا زينتها حتى أقبلت الملكة حيفوريا وعلى يسارها الأميرة هيرانا والسعادة تتقافز من عيونهما، ومن خلفهما الملكات السابقات والأميرات وحاشيتهن، ابتسمت لهن فيرونيا بحب، وبادلتهن القبلات، وهن يدعين لها بِمُلْكٍ سعيد وذرية صالحة، ويرحبن بالملكة الأم والأميرة الصغيرة بينهن في قصرهن بعد أن تجد فيرونيا صاحب مشطها، أما الملكة والأميرة فكن يضحكن بمرح، ويشكرنهن على جميل ترحابهن، هذا الترحاب الذي بدا للجميع على أنه رضا بمصيريهما، إلا على جيرانا التي أخذت تراقبهما بعيون مترقبة كالصقر، فهى تخشى على فيرونيا منهما، فجرابهما لن يخلو من المكائد ما دام هناك أمل ولو ضئيل، لأن تتولى فيرونيا الحكم.

توقفت الموسيقى القادمة من الساحة للحظة، تبعها صوت بوق طويل، يتبعه أخر أقصر، في إشارة لدخول العائلة الملكية للساحة، ارتبك الجميع، وخرجت الملكات والأميرات برفقة الملكة حيفوريا والأميرة هيرانا بسرعة فائقة حتى يعددن موكبهن للدخول، الذي يبدأ بالأصغر سنًا، واندفعت الوصيفات لتزين الأميرة فيرونيا مرة أخرى، ووضعت جيرانا اللمسات الأخيرة لها بخبرة ومهارة وسرعة.

أصابع رقيقة ناعمة عزفت على أوتار الهارْب في رقة لمقطوعة الحفل الخاصة بدخول ولية العهد إلى الساحة، التي أقبلت تخطو برشاقة وثقة، إثر كلمات التشجيع التي صبتها جيرانا في أذنيها قبل لحظات من العزف، كانت فيرونا تخطو ومن حولها الوصيفات اللاتي تركن رفقتها بترتيب مدروس ليقفن بجوار الضباط المصطفين ليكون ممرًا خاصًا لها، شق نهر توفي منصة ذات سور من الحديد الملتف حول نفسه، مكونًا سبع عشر فراشة متطابقة مع الفراشات التي صففت بها شعر فيرونيا، والذي التحَمَ مع درجات السلم، وقف في منتصف المنصة الأم الكبرى أو الملكة الجدة، وهي أقدم وأكبر الملكات السابقات، ومعها الحلاق الملكي الخاص بفيرونيا الذي يستعد للتقاعد يحمل المتر والمقص، ليخلفه ابنه الواقف بجواره ومعه سبعة عشر وسادة من القطيفة مختلفة اللون، فلكل ولية عهد حلاق ملكي خاص بها، يبدأ مهام عمله عند عامها الأول، ويتقاعد بعد تمامها سبعة عشر عامًا.

أمسكت فيرونيا بيد الملكة الجدة وانحنت بسرعة تقبلها وتضمها إلى قلبها، في حركة لم يقم بها أى من الملكات السابقات عند حفل السابعة عشر، اندهشت الأم الكبرى لفعلها، لكن سرعان ما نفضته عنها، واحتضنت فيرونيا بحب وحنان، أثارت حركة فيرونيا عاصفة من

الغضب والخوف في صدر أمها التي شعرت بدنو مصيرها، وأن خطة هيرانا مصيرها الفشل، فيبدو أن فيرونيا ستكون بطلة الأسطورة المتداولة منذ قرون، لا يوجد طريقة لتأكد من ذلك إلا عبر رؤية ما سيحدث عن قرب، لتترك مكانها وتذهب إلى حيث يجب ألا تكون إلى حيث توجد ابنتها، اندفعت حيفوريا ومن خلفها هيرانا نحو فيرونيا ليتدخلا في الوقت المناسب لهما، حتى لا تفشل خطتهما.

دقت الآلات الإيقاعية بقوة وحماسة، فقد حانت اللحظة المنتظرة، الحضور يشتعلون بالحماس، والهتاف باسم فيرونيا يضج بالسماء، تركت فيرونيا حضن الجدة الأم، لتجلس على كرسيها، حتى يقوم الحلاق الملكى بقص شعرها على سبعة عشر مترًا ليوزعهم على أصحاب المهن المختلفة في البلاد، أمسك الحلاق بالمشط الملكي ليعطيه لفيرونيا التي قامت بتقبيله، ثم قذفته نحو نهر توفني الذي ابتلعه بسرعة وسط صراخ الحضور الجنوني، واندفع الرجال غير المتزوجون خلفه في محاولة للحصول عليه، وبدأت العائلات في تشجيع شبابها للأمساك بالمشط الملكي، بينما عاد الحلاق ليمسك بمقصه ليقص الفراشة الأولى ويضعها ولده على وسادة ملكية خضراء، في ذات اللحظة تترك الفراشة المماثلة لها مكانها من السياج الحديدى، لتطير متحولة لفراشة تنفجر في السماء ناثرة الأوراق الملونة والبالونات الياقوتية، ويهلل الجميع

فرحًا، ويتقدم وزير الأشغال والمهن برفقة كبير صناع السجاد ليستلم، الوسادة الملكية خاصته.

تكرر هذا المشهد بنفس التفاصيل مع اختلاف نوع الفراشة، ولون الوسادة، وكبير الصناع المستلم لها، خمسة عشر مرة أخرى، حتى وصل إلى المتر الأخير لتندفع نحو فيرونيا كل من حيفوريا وهيرانا وعيونهما تقدح بالشر، وأيديهما تحاول الوصول لعنق فيرونيا، ومن وراءهما جيرانا في محاولة للحاق بهما.

فزعت الجدة الأم لما يحدث أمام ناظريها، وصرخت بالضباط الحارسين للممر، الذين هرعوا لنجدتها، في لحظة كبلت حيفوريا وهيرانا، وهما تقاومان بشراسة الضباط، وتصرخن بفيرونيا، بينما انكمشت فيرونا باكية في صدر جيرانا، وهي تعي أن هناك خطب ما، يبدو أن هناك خطأ، فلا يمكن أن تحاول أمها وأختها الصغرى إيذاءها.

صرخت بهما الجدة الأم باستنكار: "ما الذي يحدث بالظبط؟ هل حقًا ستقتلان فيرونيا"

ردت حيفوريا بجنون: "الأسطورة، إنها تقصدها"

نزعت فيرونيا نفسها من بين ذراعي جيرانا، والتفتت إلى الجدة الأم التي تمتمت بشرود " الأسطورة"، لتسألها عن معنى هذا، انتبهت الجدة إلى سؤال فيرونيا، وقالت لها: "ستجيبك عن تساؤلاتك حكيمة حكماء الممالك السيدة موريانا"

التي ظهرت في كبد السماء سيدة عجوز متغضنة الوجه، تشبه المومياوات المصرية القديمة بعد نزع لفافات البردي عنها، عديمة الشعر ترتدي قرطًا على هيئة ميزان، وجلبابًا أبيضًا ضيقًا خاليًا من التفاصيل، تقف على بساط صغير أسود اللون، وبيدها عصا من قرون

ذكر الغزال، بظهورها خيَّمَ الصمت والترقب المكان، اللذان ساعداها لتتكلم بصوت عميق، كأنه قادم عبر القرون لتحكى الأسطورة

" عندما يُذْكَر اسمي أعلم أنكم بحاجة علمي وحكمتي التي توارثتها عن جداتي اللائي استحققن عن جدارة لقب حكيمات حكماء الممالك، عند تأسيس مملكة الشعور، ووضع قواعد توارث الحكم فيها، تنبأت جدتي حكيمة حكماء الممالك الثانية، أن في الجيل العشرون للملكات ستولد الأميرة الثالثة وولية العهد التي سيتغير نظام الحكم لأجلها لخمسة أجيال كاملة، والتي لن تترك الحكم لابنتها ولا حفيدتها بل عند موتها، ليس عن رغبة منها ولكن لأنها تحمل خاتم الحكم الماسي برقبتها، والذي لا يظهر ألا ببلوغها السابعة عشر، وأن لم تتزوج هذا لن يمنع مكوثها على العرش، ففي كل عام ستقص عشرين متر من شعرها ما يفيض عن حاجة الجميع، لتعيش المملكة في عهدها أزهى العصور "

أنهت السيدة موريانا كلامها، واختفت مثل ما ظهرت بسرعة خاطفة، تاركة كلماتها تبهر الجميع، يبدو أنه لن يكون حفلًا عاديًا بل هو حفل لم يكن له مثيل، ولن يكون، أول من تمالك نفسها كانت الجدة الأم التي أمرت الحلاق بقص آخر متر في شعر الأميرة، ليشع الخاتم الماسي على شكل فراشة على الجانب الأيسر لرقبتها، انبهر الجميع وتراخت قبضة الضباط من الذهول، لتندفع هيرانا وحيفوريا وكل منهما تحمل خنجرًا تجاه فيرونيا، وهما تصرخان.

ما إن غمرت المياه مصطفى حتى وجد نفسه يتحول لصورة ثنائية الأبعاد تعكسها المياه حوله، بوجه برونزى، وعيون عنبرية، وأنف دقيق، وشعر حليق أسود، يرتدي بذة غوص زرقاء ذات خطوط برتقالية اللون، أمسكت بيده أيكز وسحبته تجاه دوامة خضراء مزرقة التي كانت باب عبوره إلى مملكة الشعور، وقالت له قبل عبورها: "مصطفى ما أن تعبر الدوامة حتى تكون وسط السابحين من شباب مملكة الشعور الراغبين في الزواج من فيرونيا ولية العهد، وبالمناسبة هي فرح زوجتك، والتي ستنافسهم للفوز بالزواج بها، وبعدها يمكنك استعادتها إلى عالمك، وليس قبل هذا"

فزع مصطفى وارتد إلى الخلف من المفاجأة، فأكملت: "سأساعدك لا تخف، سأعطيك ما يجعلك تسحقهم، وتفوز بها"

وقبل أن يأتي بأي فعل، أدخلت سمكة قرموط قرمزية رأسها من الدوامة، ومدت بفيها لأيكز مشطًا ذهبيًا كبيرًا على شكل فراشة، والذي أخذته منها شاكرة، ووضعته بيد مصطفى الذاهل.

زفرت أيكز بضيق، وهزته قائلة: "مصطفى لا تقف ذاهلا هكذا، هذا المشط هو سبب فوزك، فمن يجده يتزوج الأميرة"

ثم ضربته بضيق، وهي تصرخ: "إن كنت حقًا تريد استعادة زوجتك، فانفَضَّ عن نفسك هذا البله، وتحرك لإنقاذها"

حرك مصطفى رأسه يمنة ويسرة بقوة، ليستعيد توازنه، واندفع نحو الدوامة بلا تردد.

وجد مصطفى نفسه بين حشد من الشباب الباحثين بجنون في قاع نهر توفي، لقد قلبوا رمال القاع، فجعلوا الرؤية منعدمة، فلم يتمكن مصطفى من تحديد الاتجاه الذي يجب أن يعوم فيه، فما كان منه إلا أن اندفع تجاه السطح، ثم يحدد وجهته، دقيقة وكانت رأسه تشق سطح نهر توفي رافعًا يده بالمشط الذهبي، ليجد أمامه حيفوريا وهيرانا يرفعان خنجرين ويتجهان نحو رقبة فيرونيا وسط ذهول الجميع.

لم تحتمل أيكز أن تعود دون أن ترى ما يدور بعينيها، فعودة مصطفى وفرح لن تشفي غليلها، فلربما استعادا وعيهما دون أن تحقق انتقامها، لتلحق به دون أن تلفت الانتباه لها حتى تمتع ناظريها بما سيحدث، ولتتأكد من تحقيق انتقامها، بهدوء سبحت خلفه حتى وجدته مشلولًا في مكانه يرى حيفوريا وهيرانا يهجمان على فيرونيا، لو تركته يشهد نحرها دمر عالمها، وفنيت هي والجميع قبل أن تحقق انتقامها، يجب أن تدخل حتى لو أدى ذلك لكشفها، أشارت في سرعة إلى المياه التي حملت مصطفى وقذفت به إلى المنصة.

بوصول مصطفى إلى المنصة كشفت أيكز، فتوقف كل شيء حتى عادت فرح لهيئتها التي دخلت بها من الباب، فأصبحت بهيئة ثلاثية الأبعاد، وليست ثنائية الأبعاد، وهي ترتدي بذتها السوداء الكلاسيكية، ورابطة عنق قصيرة قرمزية، وحذاءًا كلاسيكيًا ذو كعب رفيع مرتفع، أما مصطفى فعاد لهيئته التي دخل بها عالم فرح، لحظة واقتحم والت ديزني وبرفقته روزي وموري وبوران ويووتا، وهو يصرخ باسمها، بينما جرى الباقين نحو أيكز ليكبلوها.

كبلت الدهشة فرح، وهي تنظر في عيني مصطفى، الذي وجد أن رفيقته قد قبض عليها، ولن تمكنه من انقاذ فرح، لذلك أمسك بيد زوجته، وقفز نحو النهر ليغوصا في أعماقه باحثًا عن الدوامة التي ستعيدهما إلى قصر أجاثا.

اخترق جسدهما النهر حتى هاجت مياهه بصورة غير مسبوقة، وبدأ يتقاذهما في كل اتجاه كيفما اتفق، أما سكان النهر فقد اختفوا وحل محلهم ثعابين الماء والأخاطِب -جمع أخطبوط- الذين انطلقوا خلفهما، استمات مصطفى في الإمساك بيد فرح، وهو يبحث بعينيه عن الدوامة ليخرجا من هذا العالم البشع، وعلى الرغم من تعجبها لوجود مصطفى إلا أنها تمسكت بيده دون تردد، لمح مصطفى الدوامة على مرمى بصره، فجذب فرح نحوها ليسحبها بكل ما أوتيا بقوة.

عندما اقتربا من الدوامة هجم أخطبوط على مصطفى وجذبه نحوه، فترك يد فرح، وهو يصرخ بها: "هيا يا فرح، اعبري الدوامة، سألحق بكِ، لا تترددي يا حبيبتي"

حاولت فرح أن تساعد مصطفى، إلا أن ثعبان الماء برز أمامها فجأة مثيرًا فزعها، فقفزت إلى الخلف لتسقط في الدوامة، وهي تصرخ باسم زوجها.

فتحت فرح عينيها لتجد نفسها واقفة أمام مرآة كبيرة في زي فتاة ريفية، فستان مزركش داكن اللون يبرز من أسفله الرقبة الطويلة لكنزة صوفية سوداء، ومن أسفله سروال واسع، وتربط حول رأسها حجاب مثلث الشكل موشى برسوم الأزهار، بجانبها تقف سيدة ممسكة بأدوات تجميل، تهم بوضع لمسات على وجهها.

طرقات معدودة، ثم فتح الباب ودخل شخص يحمل في يديه ملف مكتنز بالأوراق، وهو يقول: "هيا يا آنسة رهام، سنبدأ التصوير خلال دقائق" خرج من حيث أتي تاركًا الباب مفتوح، ليكمل عمله، تحركت فرح نحو الباب، وكل ما يشغل بالها البحث عن زوجها، جدت في السير وهي تفتش في ملامح المارين بجوارها عساها تجده، أو تجد من يستطيع مساعدتها للعثور عليه، قادتها قدماها إلى حيث مجموعة من النساء يثرثرن في سعادة، وهن جالسات في بهو كبير على طنافس يتوسطه العديد من الطاولات القصيرة، ومن فوقها صحون ممتلئة بأطايب الطعام، نادتها إحداهن لتجلس معهن، فاقتربت منهن لتلقي عليهن التحية، وتسألهن عن مصطفى، أخذتها الرهبة للحظة، فهي تقف أمام كبار نجمات الدراما السورية سامية الجزائري، وصباح الجزائري، سلمى المصري، ومها المصري، فاديا خطاب، نادين، سوزان نجم

الدين، مرح جبر، وفاء موصللي، صباح بركات، ضحى الدبس وليلى سمور، وهالة حسني، وهالة شوكت وكلهن يرتدين زى مماثل لما ترتديه فرح.

ضحكن جميعًا على تعبيرات وجه فرح، وقالت لها وفاء موصللي: "ما بكِ يا رهام؟ هل أنتِ مريضة؟"

قبل أن تجيبها، اندفَعَ أحد المصورين ليخبر السيدات أن وقت الاستراحة قد انتهى، وعليهن الذهاب لموقع التصوير، تنحت فرح جانبًا لتفسح لهن الطريق للعبور، غير أن هالة حسني أمسكت بيدها، وهي تسألها بمرح: "إلى أين يا رهام؟، هل انهيتي تصوير دورك؟"

تنهدت فرح، فقاطعتهما سامية الجزائري، وهي تمسك بهالة من كتفها، قائلة بحماس: "با الله عليكِ يا هالة، فلتأتي معي لمقابلة مخرج حلقة اليوم، فأنا لا أستطيع أن أتسلق الشجرة كما كُتِبَ في هذا السيناريو"

تحركتا بسرعة بعدما استأذنتا فرح، التي تساءلت بعجب: "وهل هناك أكثر من مخرج لهذا العمل؟"

جاءتها الإجابة من ضحى الدبس مبتسمة: "بالطبع فالمرايا تسعة مخرجين، هناك هشام شربيتجي وعدنان إبراهيم ومأمون البني وحاتم علي وسيف الدين السباعي وسامر برقاوي والليث حجو والمثنى صبح وزهير قنوع"

هتفت فرح بسعادة: "هذا يعني أننا بموقع تصوير مسلسل مرايا[٦] "

ضحكت ضحى وقالت: "أجل وأنتِ إحدى بطلات هذا الجزء، يبدو أن الفرحة قد أصابتك بفقدان ذاكرة مؤقت"

ثم تركتها، ولحقت بصويحباها، وقفت فرح لا تدري ماذا يجب عليها أن تفعل؟

أين يمكن أن تكمل بحثها عن مصطفى؟

ترى هل ينتظرها في مكان التصوير، أم خارجه؟

سمعت أصوات ضحكات رجالية، خفق قلبها بلهفة، ربما كان من بينهم مصطفى، أو يعرف أحدهم شيء عنه، تتبعت الصوت فوجدت نفسها في أحد الحقول على بعد خطوات من مجموعة من الرجال يرتدون ملابس الفلاحيين من سراويل واسعة تشبه سراويل الصيادين، وقمصان ذات خطوط طولية واسعة، وعمائم بيضاء يمسكون بالأراجيل، ويدخنون في هدوء، وهم يضحكون، اقتربت أكثر منهم لِتُفاجأ بأن الجالسين هم سليم كلاس ورضوان عقيلي وعبدالهادي الصباغ وبشار إسماعيل وعصام عبة جي وحسن دكاك ورفيق السبيعي وتوفيق العشا وعدنان أبوالشامات وعامر السبيعي ومحمد خير الجراح وعبدالحكيم قطيفان ونزار أبو حجر وعلي كريم.

بدا لها أنه لا أحد منهم يعرف بمكان مصطفى، فتراجعت بهدوء حتى لا تقطع جلسة سمرهم، وسارت على غير هدي لبعض الوقت، فإذا بها تقف أمام مبني مكون من طابقين كتب عليه "مخفر ضيعة المختارية"

بالتأكيد هذا المكان الذي تبحث عنه، ستدخل إلى ضابط الشرطة المسئول، وتبلغه عن اختفاء مصطفى، حثت الخطى تجاهه، فإذا بحلقة كبيرة من الرجال تغلق مدخله.

تملكها الخوف هل وجدوا مصطفى؟

هل أصابه خطب ما؟

أم أن تجمعهم لسبب أخر؟

إن إجابة تلك التساؤلات تعني اقترابها أكثر، اقتربت بحذر حتى لا تلفت الإنتباه إلى نفسها.

على بعد خطوتين وجدت تلة صغيرة بين شجرتين، تسلقتها بسهولة لينكشف المشهد أمام ناظِرَيْها، حلقة يتوسطها كاتبو سيناريو وحوار مسلسل مرايا، نور الدين الهاشمي ومازن طه ودلع ممدوح الرحبي، يتحلق حولهم عابد فهد وعبدالمنعم عمايري وباسل خياط وقصى خولي ومكسيم خليل ومحمد قنوع وسيف الدين السبيعي وعارف الطويل ومحمد حداقي وفادي صبيح وعاصم حواط وقيس الشيخ نجيب وأدهم مرشد وجهاد عبده، وهم يرتدون ملابس مختلطة، فالبعض يرتدي لبس أهل الريف، والآخَرين يرتدون ملابس مدنية، وقلة يرتدون بِذَّات رسمية، كانوا يتحدثون بجدية وتركيز.

وقفت فرح مكانها منتظرة جلاء الأمر، وهي تتساءل: تُرَى هل أصاب مصطفى خطب ما، أم أنهم يتدارسون أمرًا خاصًا بهم؟

فجأة أعادوا تشكيل أنفسهم ليكونوا ثلاث حلقات، يتوسط كل منها أحد كاتبوا سيناريو مرايا، وفتح الباب لتخرج مجموعة من العساكر محيطين برجل يرتدي زي ضابط الشرطة، ويتحركون بعيدًا عن المكان، فزعت فرح، وتركت التلة، وذهبت ركضًا نحو ضابط المخفر لتسأله عن مصطفى، وتطلب مساعدته في العثور عليه.

قطعت عليه الطريق، وهي تنادي: "سيدي ضابط الشرطة.. رجاءً"

توقف الضابط، ونظر لها متسائلًا، ولكن قبل أن تجيبه ارتدت إلي الخلف، وهي تهتف بانبهار: "الفنان الكبير ياسر العظمة"

ضحك ياسر العظمة بهدوء، وسألها بصبر: "ما بكِ اليوم يا رهام؟ ما الذي حدث لكِ يا ابنتي؟"

صمتت فرح، فهي لا تدري بماذا تجيبه؟

هل تخبره بأنها فرح وليست رهام؟

أم تطلب عونه في البحث عن مصطفى؟

أم تلتزم الصمت، وتترك الأحداث تقودها؟

أي قرار ستتخذ؟

حسم الأمر قدوم بعض الفتيات يرتدين ملابس مشابهة لما ترتديها فرح، ليلقين السلام على الفنان الكبير والأب الروحي لهن، صاحب الفضل عليهن وعلى الكثير من ممثلي الدراما السورية، تنَحَّت فرح جانبًا تاركة لهن مساحة مناسبة، وقفَتْ تتأملهن، كريس بشار وعبير شمس الدين وصفاء سلطان وروعة ياسين وصفاء رقماني وسلافة معمار ودينا هارون وليليا الأطرش ومانيا نبواني وسوسن أرشيد ولورا أبو أسعد ومديحة كنيفاني، والسعادة والمحبة تطلع من قسمات وجوههن، وياسر العظمة يبتسم لهن ويهش ويبش، ثم استدارت لتكمل بحثها عن مصطفى.

ناداها ياسر العظمة، واستأذن الجميع في أن يتحدث معها لبعض الوقت، على أن يلحق بهم بمكان التصوير على ضفة النهر.

أطرقَتْ فرح برأسها في خجل، بينما انتظر ياسر العظمة رحيل الجميع، ثم سألها باهتمام: "ما بكِ يا بنيتي؟، أهناك ما يسوءك؟"

اندفع الكلام من فم فرح دون ترابط لتقص عليه كل ما مرت به منذ أن التقَتْ بأجاثا، وحتى قابلته هنا.

كان الأطباء يتابعون ما يدور في عقل فرح ومصطفى باهتمام ودون تدخل، حتى افترَقَ مصطفى عن فرح، وهنا ساد التوتر والقلق، وانقسم الأطباء لفريقين، الأول وعلى رأسهم والده الدكتور وجدي الذي يطالب بإعادة الوعي لابنه، خوفًا عليه من الضياع، أما الفريق الثاني بقيادة دكتور سليم فقد أصر على الاستمرار حتى لا يتسبب في إيذاء أي منهما.

تدخل الدكتور إسلام قائلًا: "أنا أرى أن نتريث قليلًا، ونرى إلى أين تتجه الأمور"

ثم توجه نحو جهاز عرض أحلام مصطفى الذي كان يجاهد الاختناق تحت وطأة ضغط أذرع الأخطبوط، هنا صرخ والده بهم لينقذوا ولده قبل أن يموت، غير أن ظهور مباغت لأيكز قلب الموازين، فعلى الرغم من وصولها لجوار مصطفى مبعثرة الشعر وممزقة الثياب، ألا أنها كانت تحتفظ بقواها كاملة، فبإشارة من سبابتها ترك الأخطبوط عنق مصطفى واختفي في لحظة، وبإشارة أخرى فتحت دوامة جديدة، سحبت أيكز مصطفى الغائب عن الوعي، وأغلقت الدوامة خلفها قبل أن يلحق بها ديزني ورفاقه.

لحظة وشقت أيكز سطح البحيرة عند نفس المكان الذي قابلت فيه أجاثا ومصطفى حاملة الأخير بين يديها كالرضيع، لتجد أجاثا برفقة جلاديس

تنتظران عودة الجميع، ارتفَعَ حاجبا أجاثا عجبًا لعدم وجود فرح معهما، وللحالة التي وصلا بها.

هتفت بهما أيكز بضيق: "فلتساعداني"

تحركتا نحوها، وأمسكتا بمصطفى وتوجهت ثلاثتهم إلى غرفة نشأت من العدم أمامهم، فتحت جلاديس الباب لتجدن في صدر الغرفة سريرًا ذو قوائم نحاسية، وعلى الجانب الأيسر ثلاث مقاعد تتوسطهم منضدة عليها بعض الطعام والماء، وضعن مصطفى في سريره، وتولت جلاديس تمريضه، بينما شرعت أيكز في قص كل ما حدث لهما لأجاثا.

أنهت أيكز حكايتها، وهبَّتْ واقفة، وهي تقول: "لم يعد لي مكان في عالم الرسوم المتحركة، أو في تلك البحيرة، يجب أن أرحل من هنا حتى لا يمسك بي أحد، فديزني أقسم ليحرقني أمام الجميع"

سألتها أجاثا باهتمام: "ولكن لأين ستذهبين يا أيكز؟"

ضحكت أيكز، ثم قالت بمرارة: "لن أتخلى عن كوني عروسة بحر، ولكني سأعيش حيث لا يستطيع ديزني أو غيره اللحاق بي"

صمتت لتعطي قيمة أكبر لكلامها، وأكملت: "سأعيش في بحيرة لوخ نيس برفقة وحشها الشهير"

حاولت أجاثا الاعتراض إلا أن أيكز أثرت وئد الجدال قبل ميلاده، فقد اختفت بدوي قوي، أيقظ مصطفى فزعًا، وهو يتسأل عن مكانه.

تركت أجاثا مقعدها، وتوجهت نحو مصطفى لتهدئه، لكنه هب من سريره ليسألها بعنف: "أين فرح؟، أين زوجتي؟"

تراجعت جلاديس في خوف، بينما أجابته أجاثا بصدق: "لست أدري"

سقط مصطفى أرضًا، وهو يتمتم: "ضاعت فرح، فقدت زوجتي"

مدت أجاثا يدها له لتنهضه، وهي تقول بأمل: "لم نفقدها بعد، إني أظنها تخوض مغامرة ما الآن"

نظر لها مستفهمًا، وهو يتجاهل يدها عمدًا، فلم تسحبها، ولكنها أردفت: "لقد قصت عليَّ أيكز كل ما مَرَّ بِكُم، ولذلك فإني أري أن فرح خلف أحد أبواب ممر الحكايات"

سألها مصطفى بخوف: "وإن لم تكن هناك، فأين يمكن أن توجد؟"

أجابته في حسم: "قبل أن نبحث في ذلك، يجب أن نتأكد من وجودها خلف باب أحدى المغامرات، وهذا يستلزم أن تأتي معي الآن إلى هناك، هيا يا كسول"

استمع ياسر العظمة لحديث فرح باهتمام كبير، وما أن فرغت من حديثها، حتى أشار لها لتصمت حتى يتمكن من ترتيب أفكاره أولًا، التزمَتْ فرح بما طلبه منها، والأمل يحدوها في إيجاد مخرج لتلك المعضلة.

عشر دقائق كاملة مرت كالدهر على فرح، قبل أن يجيبها ياسر العظمة بتأنٍ: "فرح يا بنيتي نحن الآن في عالم مرايا، وكما تعلمين فهو عالمي، صنعته برفقة أصدقاء العمر، وأبنائي، هذا العالم الذي أحفظه كخطوط كفي، هل تظنين أني لم أكن أدري بكونك دخيلة عليه؟ كلا وربي، فلقد علمت بأن هناك شيئًا غريبًا منذ مَقْدِمك، شعرت أن هناك مقتحم لعالم مرايا، ولقد أقسمت أن أجد هذا الدخيل وأطرده بعد أن أعنفه، ولكن ما أن وجدتك ضائعة حتى رق قلبي لكِ، ولذلك عفوت عنكِ وسأساعدك"

شكرته فرح بحرارة، فابتسم لها ثم أكمل بتوكيد: "إن زوجك مصطفى لم يخط داخل عالم مرايا بقدمه، لهذا لا داعي للبحث عنه هنا"

امتلأت ملامح فرح بالحزن والشقاء، وهي تسأله: "ولكن يا سيدي أين يمكن أن أجده؟"

ربت على كتفها بحنان أبوي، وهو يجيبها: "ليس هنا بالتأكيد، ولذلك يجب أن ترحلي من هنا، وتعودي إلى مرشدتك أجاثا، والتي أظنها على

علم بكافة تفاصيل عالم الأحلام، ولذلك فهي ستتمكن من مساعدتك على إيجاده"

ابتسمت له فرح بحزن، ثم سألته: "وكيف أعود إليها؟"

ضحك من سويداء قلبه، ثم أجابها وهو يشير بيده لباب بألوان قوس قزح: "كالعادة من هذا الباب"

ودعته فرح قائلة بحب: "كم أنا سعيدة بلقاءك يا سيدي، فكم تمنيت هذا اللقاء لسنوات، لقد أدمنت مشاهدة حلقات مرايا حتى أني شاهدت حلقاتها منذ انطلاقها"

ابتسم لها شاكرًا، فسألته مترددةً: "هل أطمع يا سيدي في أن أعود لأشارك في إحدى حلقاتها"

ضحك، وهو يودعها: "بالطبع لكِ هذا، ولكنَ تعرفين القواعد جيدًا، ليس قبل الانتهاء من جميع الأبواب، وداعًا يا فتاتي"

عبرت فرح الباب في لهفة، فإذا بها تجد مصطفى يهرول في تجاهها، ومن خلفه أجاثا، وهما يرحبان بعودتها.

ضمها مصطفى في صدره بحنان جارف، وشوق، وهو يقول: "فرح أيتها الحبيبة المشاغبة، لقد أثرتي رعبي وخوفي عليكِ"

ضحكت فرح، وتصنعت الغضب، وهى تنفي بشدة: "لست مشاغبة، فأنا فتاة طيبة"

ضحك مصطفى بقلب خالٍ، ثم قال لها: "أجل فأنتِ طيبة وجميلة ورائعة"

ثم أطلق سراحها، وهو يقول لها: "حان موعد عودتنا"

طافت مسحة حزن بعيني فرح، وهي تسأله: "هلا بقينا قليلًا؟"

هتف مصطفى مستنكرًا: "ألم يكفكِ ما شاهدتِ وخضتِ من مغامرات؟"

أمسكت فرح بيده، وهي تقول مستعطفة: "بل أريد مغامرة واحدة أخوضها معك، ثم نعود"

ابتسم وقال: "مغامرة نكون بطلاها، لكِ هذا يا عزيزتي، فمن يرفض مغامرة مع فاتنتي"

ضحكت أجاثا، وقالت: "يبدو أنه فضول القط الذي غلبك يا عزيزي"

ضحكوا بسعادة، وأجاثا تشير لهما ليختارا الباب الذي يريدان، غير أن فرح قالت بحسم: "مصطفى هو من سيختار الباب، لا تناقش يا مصطفى، وهيا اختر الباب"

ضحك مصطفى، ثم أغمض عينيه، وترك قدماه تقودانه للحظة، ومن خلفه فرح وأجاثا، توقف ونظر فإذا به أمام باب كتب عليه بخط رفيع مزخرف "جنية الجبل" ابتسمت له فرح، وفتحت الباب ودخلا معًا دون كلمة.

ما إن دخلا الغرفة حتى تبدل المشهد أمام عيون الأطباء، واختفي كلا منهما دون أثر، وتسَيَّدَ الترقب الأجواء، تُرَى أين ذهبا، وفي أي صورة سيعودان.

بدأت شمس المغيب في سحب أشعتها الملتهبة من فوق الرمال الحارقة، تاركة الظلال لترسم ملامح الجبال الوعرة على الطريق شبه الممهد، السراب متناثر على مسافات غير قريبة، بينما الحرارة التي شبعت كل شيء، كانت تهرب إلى الهواء لتهتز الرؤية في عيني سائق السيارة عتيقة الطراز -التي لا تجدها إلا في غياهب صعيد مصر- خلف مِقْوَدها جلس بهدوء وتمكن صعيدي ذو ملامح حادة منحوتة بقسوة البيئة التي نشأ بها.

كعروس خجلة يزفها جيرانها تهادت السيارة ببطء أثار حفيظة الراكب الوحيد الجالس بالمقعد المجاور للسائق العصبي الملول بطبعه، ذو الملامح السكندرية، كان يرتدي قميصًا ذي لون أزرق، وبنطالًا كحليًا اللون، وحذاءً جلديًا أسودًا داكنًا، أخذ يزفر بشدة، وهو يحاول ملاحقة عرقه المنهمر على وجهه بمنديل قماشي محلاوي كبير.

لم يحتمل أكثر من ذلك، فقال بانفعال وغضب: "ألا يمكنك أن تسرع قليلًا يا صميدة؟ لقد نفذ الماء مني، والشمس تشويني"

ابتسم السائق، وأجابه بهدوء: "لا يمكنني بالطبع، فالطريق ضيق، ومنحدر، وإذا أسرعت ربما سقطنا في الهوة السحيقة، كما أن الشمس مائلة للمغيب، وحرارتها تنخفض بسرعة، تحَمَّلَ قليلًا يا دكتور جلال"

انتفض جلال، وقام بإلقاء المنديل من يده، وقال: "ومتى سنصل إلى تلك القرية، فبسرعتك هذه لن نصل حتى الفجر، وأرجو ألا تنسى أن الشمس كانت مسلطة طوال اليوم على السيارة، والتي أصبحت كالتنور"

ضحك صميدة، وقال: "هكذا أنتم يا أبناء بحري لا تحتملون الشمس، كما أن ملابسك تلك تزيد من شعورك بالحر، كان يجب أن ترتدي جلبابًا، كالذي أرتديه، وعمامة لتقيك الشمس"

تبرم جلال، وقال لنفسه: "ماذا جنيت ليتم تكليفي في الصعيد، وأجلس بجوار سائق هو وقومه يسخرون منا، وهذه الشمس القاسية، والرمال الممتدة إلى ما لا نهاية، سأموت حتمًا"

لم يتمالك جلال نفسه عندما حامت حول رأسه ذبابة، فصرخ فيها بقوة، مما أفزع صميدة، فاختلَّتْ عجلة القيادة من يده، وانحرفت السيارة، وكان واضحًا أنها ستسقط في الوادي على الرغم من محاولات صميدة المستمرة للسيطرة عليها.

تلى جلال وصميدة الشهادة، والسيارة تتجه إلى أسفل، وإذ فجأة توقفت السيارة في الهواء، ثم اعتدلَتْ لربع دقيقة، ثم أستقرت على الطريق مرة أخرى، أخذت الصدمة بجلال، ففغر فاه بشكل مضحك، وأنفاسه كانت تتلاحق بقوة، في حين كان صميدة يحمد الله، ويثني عليه، ثم أشار بيده من نافذة السيارة ملوحًا بالشكر في حركة اعتيادية بالنسبة له،

ولكنها غير طبيعية لجلال، معيدة له رشده، فهتف مستنكرًا بصميدة: "ماذا تفعل يا هذا؟، لمن تلوح بيدك شاكرًا؟"

ضحك صميدة على جهل رفيقه، ثم أجابه بشكل طبيعي: "لجنية الجبل"

انتفض جلال، وصرخ بفزع: "ماذا تقول أيها المعتوه؟"

لم يرد عليه صميدة بحرف، ولكنه أشار بيده ببساطة، فالتفَتَ جلال بحدة، ليصدمه ما رأى.

..*.*.*

على الشاشة أمامهم ظهرت فتاة تقف في كبد السماء، فلا يمكن مهما اختلفَتْ هيئتها أن تنكر كونها أنثى، تجلت أمام عيني جلال، بشعرها الأخضر الطويل الذي تجاوز قدميها لخمسة أمتار على الأقل، وعيونها حمراء اللون لا بياض فيها، ذات بؤبؤ ناري ترى تراقص ألسنة اللهب به، وبشرة زرقاء داكنة.

هتف الدكتور محمد: "إنها فرح"

أسكته دكتور سليم بأشارة من سبابته، فسكت على مضض، ليتابع مثلهم ما يحدث على الشاشة أمامهم.

..*.*.*

جرت البسملة والحوقلة على لسان جلال كشلالات نيجرا، للحظات لا يمكن وصفها بالقصيرة حتى تمالك نفسه، وسأل صميدة بصوت لا تختفى ارتجافته: "من هذه بالله عليك؟"

أجابه صميدة بهدوء: "أنها جنية الجبل، حامية المسافرين، إنها السيدة الزرقاء"

ردد جلال بذهول الجزء الأهم فيما قال برأيه: "حامية المسافرين"

ثم التفَتَ إلى صميدة، وقال مستفهمًا: "هل تعني أنها هي التي أنقذتنا من السقوط في تلك الهاوية؟"

أجابه بصبر لا يبشر بنفاذه قريبًا: "أجل، لقد لفت شعرها الطويل حول السيارة، وحملتها معيدة إياها إلى الطريق"

صرخ جلال قائلًا: "شعرها.. مستحيل"

وقبل أن يرد عليه صميدة، أشارت لهم الجنية بيدها مودعة، ثم دارت حول نفسها بسرعة رهيبة مكونة بشعرها دوامة هائلة، ثم اختفَتْ من أمام أعينهم كما ظهرت.

أدار صميدة محرك السيارة ليكمل طريقه، كما لو أن شيئًا لم يكن، بينما كان الرعب يعبر عن نفسه بقوة في ملامح جلال المتشنجة خوفًا، وأنفاسه المتقطعة المتلاحقة، أراد صميدة أن يخفف عن رفيقه، فقال ضاحكًا: "عليك ألا ترعبني ثانية بسبب الذباب، أو غيره، نريد أن نصل سريعًا، فنحن لا نريد أن تنقذنا السيدة الزرقاء مرة أخرى"

انتفض جلال بعنف، وقال له متوسلًا: "لا تسرع بالله عليك، تمهل في قيادتك، لا يهم متى نصل، ولكن أن نصل سالمين"

تعجب صميدة من موقف رفيقه الذي تغير مائة وثمانين درجة من شخص عصابي عَجول لآخر خائف يُنْشِدُ التروي والتمهل بل البطء والتباطؤ، كأن ما حدث قد أبدله لشخص آخَر ليس هو، ولكنه هز رأسه موافقًا على الرغم من قلقه، فأشعة الشمس تلفظ أنفاسها الأخيرة، بينما استيقَظَ الليل من سباته ليزحف ببطء على صفحة السماء ليصبغها بلونه الأسود.

كان صميدة يلقي بنظرات خاطفة على رفيقه في توتر كل فترة، فوجده متكور على نفسه فوق مقعده، يتصبب عرقًا، ويزم بشفتيه، خاف عليه صميدة، فلربما أصابه مكروه، وهو في عهدته، مما دفعه ليسأله بقلق:

"ماذا بك يا دكتور جلال؟"

لم يجبه جلال بل ظل على صمته، فقرر صميدة أن أيًا ما كان به هذا يستلزم وصولهم أولًا إلى البلدة، فلا يمكنه أن يفعل له شيئًا في هذا المكان المقطوع.

كانت السيدة الزرقاء تقف على قمة الجبل، متدثرة بأيدي الظلام المنتشرة لتخفيها عن عيون راكبي السيارة، وهي تتابعها وهي تسير الهوينى تحسبًا لحدوث أي طارئ مفاجئ.

-" لقد تأخرا كثيرًا يا حاج إبراهيم، لقد حَلَّ الليل، ولم يصلا، ترى هل نبعث بمن يبحث عنهم؟" قال مأمور المركز لشيخ قبيلة حضن الجبل بصوت قلق .

أجابه الحاج إبراهيم برزانة: "لا داعي لن يحدث لهما شيء، وسيأتيان قريبًا"

تدخل طبيب الوحدة قائلًا بقلق مماثل لما يعتمل بصدر المأمور: "كان يجب أن يصلا صباحًا، لأعود أنا عصرًا بعد تسليم كل شيء للطبيب الجديد، أتمنى ألا يكون أصابهما مكروه"

ابتسم شيخ القبيلة بهدوء، وقال: "لقد غربت الشمس منذ نصف ساعة، لا تخشيا شيئًا، فلربما قررا المجيء غدًا لتأخرهم، أو"

وقبل أن ينهي الحاج إبراهيم كلامه، أقبلت سيارة صميدة من بعيد، تنفس الجميع الصعداء، ووَقفوا ينتظرون القادمان.

قال صميدة: "لقد وصلنا يا دكتور جلال، دقيقة ونقف أمام منزل الحاج إبراهيم شيخ قبيلتنا"

اعتدَلَ جلال منتبهًا لنفسه، لتختفي تحديقاته إلى اللا شيء، وهو يعدل من هندامه، توقفت السيارة بجوار سيارة الشرطة، لينزل صميدة متبوعًا بجلال، تقدم الأخير نحوهم، وقال بلهجة رسمية، ولكنها لم تنجح

في إخفاء تعبه، معرفًا نفسه: "دكتور جلال عبد الحميد، طبيب الوحدة الصحية الجديد"

صافحه المأمور، وهو يقول: "مرحبًا بقدومك يا رجل، لقد ملئتنا رعبًا، لقد تأخرت كثيرًا، أنا مأمور المركز اليوزباشي أحمد جلال"

وأشار بيده إلى الحاج إبراهيم، وقال: "الحاج إبراهيم شيخ قبيلة حضن الجبل"

ثم تحول بيده للضابط الشاب الواقف خلفه، وقال: "الملازم عادل حماد"

وأخيرًا التفَتَ بجسمه، وأشار إلى الشخص الملول بجواره: "الدكتور عيسى موسى طبيب الوحدة سابقًا"

..*.*.*

صرخ الدكتور محمد الذي يطالع الشاشة بانبهار: "انظروا أن عادل ما هو ألا مصطفى، يا له من دور، لقد ظننته سيأخذ دور جلال، وعندما وجدته شخص آخر، قلت سيكون طبيب الوحدة أو ما شابه، لكن ضابط شرطة، هذا ما لم يخطر ببالي أبدًا"

أمسك دكتور وجدي بكتف محمد، وقال له بحزم: "إن لنا أعينًا كعينيك، ويمكننا أن نستنتج هذا بأنفسنا، فإن لم تتمكن من الصمت، فلتغادر"

صدم محمد من كلام دكتور وجدي، ولكنه أثر الصمت ومتابعة ما يدور، على الرحيل غاضبًا، تنفس الدكتور وجدي بقوة، ثم وجه كلامه للجميع:

"لا أريد أي مقاطعة مرة أخرى، وإلا سأخلي الغرفة، ولن يبقي معي سوى دكتور سليم، أفهمتم"

هز الجميع رأسه بتفهم، وعيونهم معلقة بما يشاهدونه.

..*.*.*

كان جلال يمد يده مصافحًا الجميع بأدب جم، وهم يتطلعون إليه، وهو يتحاشي نظراتهم خوفًا من أن يروا علامات رعبه.

قال له الحاج إبراهيم بحنان أبوي: "تعال يا بني اجلس، أنك متعب"

ثم اقتادته ليجلس على مصطبة الدوار، والتي يجلس عليها عِلْيَة القوم، ولحقه الباقون، زفر الدكتور عيسى، ثم سأل بغيظ: "لما تأخرت هكذا؟ نحن في انتظارك من الصباح الباكر، سأضطر للمبيت للغد حتى أسافر"

قال جلال معتذرًا: "لم أستطع اللحاق بقطار البارحة، فوصلت صباح اليوم"

تدخل صميدة في الحديث، وقال: "ثم حدث لنا حادث عند سفح الجبل"

سأله الملازم عاجل، بفزع: "ماذا حدث؟، وكيف نجوتما؟"

رد عليه الحاج إبراهيم بهدوء: "لقد ساعدتهم جنية الجبل"

ففغر فاه عادل بعدم فهم، ولم يستطع التفوه بكلمة، والتفَتَ إلى من حوله عسى أن يجد عندهم المعونة، ولكنه وجد المأمور ينظر إلى الحاج إبراهيم بتفهم، فأغلق فمه مقررًا الإلتزام بالصمت.

سأل صميدة الحاج إبراهيم عن مكان إنزال أغراض الدكتور جلال، فأجابه: "ضع أغراض الدكتور جلال في المَضْيَفة الشرقية حيث سيبيت الليلة مع سيادة الملازم عادل، وأخبر هريدي أن يحضر المَضْيَفَة الغربية لسادة المأمور"

انطلق صميدة ينفذ أوامر الحاج إبراهيم، في حين التفَتَ عادل إلى جلال الذي رأى في عيني الأول أن حديثًا خاصًا سيجمعها قريبًا.

ما إن أغلق باب المضيفة الشرقية على عادل وجلال حتى التفت الأول للثاني متلهفًا، فحاول جلال أن يهرب من نظرات عادل إلا أنه كان بحاجة للكلام أكثر من عادل، فابتدره قائلًا: "قبل أن تسأل ما حدث لي، أنا بحاجة للتحدث عما حدث مع أحد يمكن أن يفهمني بسهولة في هذا المجتمع الغريب"

جلس عادل أمامه، وفضوله لما سيرويه جلال جعله مثل القط الجائع الذي يراقب فريسته، وهو يقول: "هاتِ ما عندك كلي آذان صاغية"

لم ينتظره جلال ليتم جملته بل اندفع يقص عليه ما حدث معه بالتفصيل، وعادل منتبه له بكل حواسه حتى فرغ من سرد ما مر به، صمت لبرهة، ثم قال متأملًا: "فتاة ذات بشرة زرقاء، وشعر أخضر طويل، وعينان حمراوتان ذات بؤبؤ ناري، تلك هي جنية الجبل"

جلس جلال مسترخيًا على فراشه، وهو سعيد بإزاحة هذا الحمل من على صدره، ولردة فعل عادل غير الساخرة، ثم قال: "كانت جميلة، ولكن مرعبة، كانت قوية، ولكن"

التفَتَ إليه عادل، وسأله بلهفة: "ولكن ماذا؟"

هز جلال رأسه، وهو يقول: "لا أدرى حقًا يا عادل، ولكن لها سحر أخاذ"

رد عادل بشكل عملي: "إن المأمور يعلم كل شيء عنها، على الرغم من كونه غريبًا عن هذه الناحية، إلا أنه صعيدي وصديق للابن الحاج إبراهيم الشهيد محمد في مرحلة البكالوريا، لذلك تقبل جملة الحاج ببساطة وهز رأسه بتفهم"

ثم ضرب مقدمة رأسه براحته بقوة قائلًا بصوت مرتفع من فرط الحماسة: "على خلافي أنا ابن القاهرة، ليتني شاهدت تلك الجنية"

مَدَّ جلال يده ليمنع عادل من تكرار فعلته، وهو يقول محذرًا: "عادل هلا قللت من انفعالك، إنك تُحْدِث جَلَبة، ربما دفعت أحدهم ليأتي يسأل عما يدور هنا، أنا متعب، واحتاج إلى أن أنال قسطًا من النوم"

ثم أتبع حديثه بتثاؤب قوي، وهو يجذب وسادته ليعدل من وضعها لتناسبه أكثر، ثم ألقى برأسه عليها حتى يقطع على رفيقه أي فرصة للحديث.

سرق الشرود عادل لساعة من الزمن، تتناحر الأفكار داخل عقله، في محاولة لكسب أرض المعركة، ولو لجولة أولى، بينما غاب جلال عن العالم في نوم عميق، فقد غلبه التعب.

انقض عادل على جلال يهزه بقوة، وهو يقول بحماس: "جلال استيقظ، هناك شيء لا أفهمه، أفق يا هذا"

قفز جلال فزعًا، وهو يهمس بغضب: "ماذا هناك؟ لما توقظني بهذه القسوة، لقد أرعبتني؟ ألا تعلم أني مجهد وأحتاج للنوم بشدة"

تجاهل عادل اعتراضاته، وسأله: "هل شاهدت الرجال الأربعة كانوا يقفون خلف الحاج إبراهيم؟"

جلس جلال، وقال وقد شد تساؤل عادل انتباهه: "هؤلاء الصموت، لقد حسبتهم كتماثيل الأبطال الإغريقية القديمة، ولكن ترتدي الجلاليب"

ضحك عادل من سويداء قلبه، ثم قال من بين ضحكاته: "هؤلاء الأربع هم أبناء الحاج إبراهيم، وهم لا يتحدثون أمامه إلا إذا طلب منهم"

ثم مسح عينيه من دموعه الضاحكة، وسأله باهتمام: "ألم تلاحظ شيئًا عليهم؟"

داعب جلال ذقنه متذكرًا، وهو يقول: "يا لها من ليلة طويلة، يبدو أنني لن أحظى بقسط وافر من النوم بسببك"

ثم أشار بيده لعادل، وهو يقول: "كانت بشرتهم بها مسحة من الزرقة"

رد عادل بحماس: "ها هو ذا لقد لاحظت ما رأيته"

أرجع جلال رأسه إلى الخلف، وهو يقول بكسل: "هذا لا يدل على شيء، فلربما كانوا يعانون مِن بعض المشاكل التنفسية التي تقلل من نسبة الأكسجين في الدم، لذلك بشرتهم السمراء بها مسحة زرقاء"

هتف عادل بحنق: "ما هذا السخف! ألم تشبههم بتماثيل الأبطال الإغريق، إن للواحد منهم من القوة ما يهدم به هذا المنزل بزفرة قوية منه"

ثم أمسك بكتفي جلال، وقال بحماس: "لو تأملت عيونهم ستجد أن لهم بؤبؤًا ناريًا، كما أن شعرهم به مسحة خضراء على الرغم من سواده، أنا على يقين أنهم عندما يغضبون تتحول أعينهم للون الأحمر"

أزاح جلال يدى عادل، وسأل بعدم فهم: "وماذا في هذا؟ وأن كان كلامك صحيح، ما علاقة ذلك بجنية الجبل، والمأمور، وما يدور هنا؟ أنا لا أفهمك"

زفر عادل بقوة، وسأله: "من أي المحافظات أنت؟"

تعجب جلال من هذا السؤال المباغت، ولكنه رد: "أنا من الأسكندرية، ولكن ما علاقة محافظي بحديثك؟"

رد عليه بلا مبالاة: "لا شيء البتة"

استحثه جلال ليوضح ما يدور بخلده: "هناك شيء ما بعقلك، لا تخفيه عليَّ"

زم عادل شفتيه، ثم رد باقتضاب: "لا شيء، ألم تقل أنك تريد أن تنام، هيا عد لنومك، فأمامك يوم شاق غدًا، إن عيسى يريد أن يرحل فجرًا بعد تسليمك كل ما يوجد بالوحدة"

تجاهل جلال فضوله لمعرفة ما بعقل رفيقه، وقال بعصبية: "أجل إن عيسى لن يتركني أهنأ بلحظة راحة حتى يرحل سريعًا"

ثم اندس في فراشه متظاهرًا بالنوم، وهو يسأل نفسه" ترى ما الذي يدور بعقلك يا عادل"

وضع عادل ذراعيه خلف رأسه بعد أن أغلق ذاك السراج المملوء بالزيت، وهو يدير في رأسه فكرة عجيبة للغاية.

وقف الحاج إبراهيم أمام جنية الجبل التي كانت تجلس القرفصاء، وشعرها يدور حول رأسها كدوامة، وهي مغلقة عينيها بقوة، وبشرتها الزرقاء تتلون بمسحة سمراء من شدة التركيز، التي ما إن شعرت بوجوده حتى شهقت بقوة، كأنما تسحب نفسها المسافرة في عالَمٍ آخَر. رفعت عينيها الجمريتين، وقالت بهدوء لا يتناسب مع ما ستقوله: "لقد أقترب كثيرًا من كشف سرنا يا أبي"

في صباح اليوم التالي أقبل الدكتور عيسى ليتناول الفطور مع الحاج إبراهيم، ثم ليأخذ جلال إلى الوحدة الصحية حيث يجب أن يكون، كان عيسى في عجلة من أمره حتى أن الحاج إبراهيم قال له معاتبًا: "ألهذه الدرجة متحرقًا لفراقنا يا بني؟"

انتبه عيسى لنفسه، شاعرًا بالحرج، وهو يقول بسرعة: "كلا بالطبع يا حاج، فأنت كوالدي، ولكني مشتاق لملاقاة الأهل، فأنا لم أرهم منذ أشهر طويلة، إلى جانب أن زوجتي على وشك الوضع، وكما تعلم فهذه المرة الأولى لي لأكون أب"

ابتسم الحاج، مربتًا على كتفه، وهو يقول: "سنفتقدك يا ولدي"

قبل عيسى يدى الحاج، ثم قال بصدق: "وأنا أيضًا يا حاج، لقد عشت هنا كأني بين أهلي، ولولا شوقي لهم، وخوفي على زوجتي لما تعجلت الرحيل"

أومأ الحاج برأسه متفهمًا، ثم التفَتَ إلى جلال قائلًا: "جلال يا ولدي يمكنك أن تذهب بعد انتهاءك من فطورك مع عيسى على أن تعود سريعًا"

ثم وجَّهَ كلامه ووجهَه لعادل: "عادل يا ولدي إذا رغبت في رفقتهم بعد الانتهاء من إفطارك فلا بأس على أن تعود معهم"

هز ثلاثتهم رؤوسهم إيجابًا، وبعد عشر دقائق انطلقوا إلى الوحدة الصحية، ما إن وصلوا حتى قال عادل لعيسى: "مبارك مولودك، أتمنى أن يكون صحيحًا معافى"

هز عيسى رأسه فرحًا، وهو يقول: "شكرًا لك يا عادل، كنت لي نعم الصديق، على الرغم من أني لم أعرفك سوى شهرين، ولكن عنت لي الكثير"

ربت عادل على كتف عيسى، وهو يقول: "سأفتقدك كثيرًا، ولكني أتمنى أن يكون جلال رفيقًا يعوضني غيابك"

ابتسم جلال بصعوبة لكليهما، وهو يقول: "كم أمقت لحظات الفراق"

أومأ كليهما رأسه موافقًا، نظر جلال لعادل نظرة ذات مغزى، فهز عادل رأسه نافيًا، أخذ عيسى جلال في جولة سريعة في الوحدة التي سكون فيها جلال كل شيء بلا استثناء.

بعد رحيل ثلاثتهم مال المأمور على الحاج إبراهيم يسأله لِمَ صرفهم، فرد الحاج بنبرة خطيرة: "أحمد يا ولدي، إن عادل على وشك اكتشاف سرنا"

ارتَدَّ المأمور للخلف فزعًا، وهو يهتف: "ماذا تقول يا حاج؟"

أشار الحاج له بأن يخفض صوته، وهو يقول: "لقد رأت زينب ما يدور في عقله البارحة"

تمتم المأمور في خفوت: "زينب اخترقت عقله، لِمَ؟"

رد الحاج: "أنت تعلم كما اقتضت الحاجة، تخترق زينب عقل كل من يراها لأول مرة من الوافدين الجدد لقريتنا، وهذا ما كانت تفعله زينب مع جلال البارحة، ولكن عقل عادل جذب اهتمامها، فتوغلت فيه لترى ما به، وهي مَن أخبرتني باقترابه لهتك سترنا بكشف السر"

ولول المأمور سائلًا: "وما العمل الآن يا حاج؟"

أجابه بحزم: "يجب أن نبعد عادل قبل أن يكشف سرنا، فلا خطر من جلال إلا في وجود عادل معه"

هز المأمور رأسه متفهمًا، ثم أراحها إلى الخلف، وهو يفكر كيف يبعد عادل دون أن يلفت انتباهه.

بعد نصف ساعة من هذا الحوار، أقبل عادل متوسطًا جلال وعيسى، وهما يضحكان، كان لضحكة عادل أثرًا رهيبًا على الحاج إبراهيم، فلقد ذكرته بضحكة أخيه محمد الذي هجر الجبل ليعيش بالعاصمة بعد ذلك الحادث الذي هز بيت شيخ القبيلة العتيد.

جاء صميدة حاملًا حقائب عيسى ليضعها في سيارته، لينتزع عيسى الحاج إبراهيم من ذكرياته البعيدة مودعًا، فانتبه لنفسه، وأمر غفيريه هريدي وهنداوي بوضع ما جهزه لأهل عيسى بالسيارة، الذي شكره وهو يقبل يديه، ثم ربت على كتف جلال متمنيًا له تكليف هادئ لا تتخلله مشاكل الجبل، ثم ضم عادل إلى صدره، وهو يقول ممازحًا: "أي صديقي إنك أكثرنا تأقلمًا مع جو الصعيد، كأنك من أهله"

ثم ضحك، وأردف: "أتمنى لك وقتًا مملًا بدون مطاردات"

شاركه الجميع الضحك، وهم يودعونه ليركب السيارة بجوار صميدة على ذات المقعد الذي حضر عليه جلال بالأمس، شتان ما بينهما فعيسى يتحرق شوقًا لرؤية الأهل والأحباب، وجلال كان يتمنى أن يعود من حيث أتى.

ما إن تحركت السيارة حتى قال المأمور بحسم: "عادل هيا بنا إلى المركز لقد تغيبنا كثيرًا، أتمنى ألا يكون هناك ما يكدر السلم العام، وصفو الأمور"

تعجب عادل من رئيسه، فهذه المرة الأولى التي يتحدث فيها عن تكدير السلم العام، فهو دائمًا ما يردد أن الأمور دائمًا على أحسن ما يكون، فسلامة طوية أهل المنطقة، وسيادة النظام القبلي هى سر سيادة السلام والاستقرار، ربما راجع ذلك لاعتزازه بقبيلته، فهو ابن تلك المنظومة التي تحكم الصعيد منذ مئات السنين.

صافح المأمور الحج إبراهيم، ثم توجه إلى سيارة الشرطة ليلحق به عادل بعد أن ودع جلال والحاج

ما إن دخلا المركز حتى سارع المأمور بالاستفسار عما حدث في غيابه، فأخبره الشاويش المناوب بأن مطاريد الجبل قد تطاولوا وسرقوا جاموس الحاج سيد أحد أعيان قرية الجبانة غرب التابعة له، احتقن وجه المأمور غضبًا، ثم هتف بعادل: "لقد تمادى المطاريد كثيرًا، عادل جهز حملة مكبرة بقيادتك لإخراسهم إلى الأبد"

أدى عادل التحية العسكرية بقوة وحزم معلنًا البدء في المهمة، ثم انصرف إلى مكتبه ليبدأ في الإعداد لتلك الحملة، تاركًا المأمور يجرى اتصالاته بالمديرية طلبًا لتعزيزات.

أخذ الحاج إبراهيم يتقلب في فراشه بسرعة، كأنما النيران تشتعل منه، كانت صورة عادل وهو يضحك بين جلال وعيسى تُذَكِّرُه بأخيه محمد الذي كان دائمًا ما يتوسطه هو ورفيقهم على الذي توفى بعد رحيله بعامين، ما إن هجرهم هو حتى ضاعوا، ثلاثتهم لا ينفصلون عن بعضهم البعض حتى ذلك الحادث منذ خمس وعشرين عامًا، إنه يتذكره كأنه الأمس.

كانوا يتسامرون تحت ضوء القمر خلف المنزل الكبير عندما حدث ما حدث، ومن يومها لم يعد شيء كما كان، لم يحتمل الحاج إبراهيم تلك

الأفكار التي قضت مضجعه، فقام معتدلًا، وذهب إلى حجرة ابنته زينب، وطرق الباب بهدوء، لتفتحه له بابتسامة رقيقة، ودعته للدخول.

جلس الحاج على طرف فراشها، ولم يتحدث ببنت شفة، وقفت أمامه زينب، التي قالت له بهدوء، وهي ناظرة إليه: "ماذا هناك يا أبي؟"

أجابها بتعب: "هناك الكثير يمكنك الولوج إلى عقلي لتريه بنفسك، وتكفيني هم الحديث"

هزت رأسها إيجابًا، ثم أغمضت عينيها لتدخل إلى عقله بعد أن استأذنته كما اعتادت، رأت ما يقلق والدها، وذكرياته، وتوقفت أمام صورتين لا تبرحان عقل أبيها، الأولى لعادل يتوسط جلال وعيسى وهم يضحكون، والثانية عمها محمد يتوسط أباها ورفيقه على، وهم يضحكون كذلك، كان الفارق بين الصورتين كبير إلا في الشخص الواقف في المنتصف، فقد كان عادل الضاحك هو صورة مصغرة مع خلاف الشارب من عمها محمد.

همست زينب بألم: "أبي"

رد أبوها بألم أكبر: "كأنه هو إلا أنه حليق الشارب لا يفرق بينهما سوى ما يرتديه عادل، إنه نسخة مصغرة من أخي محمد منذ خمسة وعشرين عامًا"

قالت بقلق: "ماذا تعني يا أبي؟ أيمكن أن يكون عادل ابن عمي؟"

أجابها والدها بضيق: "لست أدري، لقد رحل عمك، وهو ما يزال ابن الثمانية عشر، ولم يتزوج، لقد رحل دونما وداع، وحاولت أنا وعلى البحث عنه دون جدوى حتى ظننا أنه مات أو رحل إلى غير رجعة، وحاولنا تناسي الأمر"

زفر بقوة، ثم أكمل بقلق، وهو يدور في الغرفة كالليث الحبيس: "ما العمل الآن؟ لقد طلبت من المأمور أن يأخذه بعيدًا، ماذا لو كان ابن عمك فعلًا؟ تُرَى ماذا سيحدث له؟"

أجابته لهفة: "أبي هل تأذن لي بالدخول لعقل المأمور، لأعرف إلى أين سوف يأخذه؟"

هز رأسه إيجابًا، فجلست من فورها القرفصاء على الأرض، مغلقة عينيها بقوة، وأخذ شعرها يدور في دوامة حول رأسها لمدة خمس دقائق، لتعود إلى وعيها بعد شهقة قوية، وعينيها ملأى بالرعب، وهي تقول: "لقد بعثه لمهاجمة مطاريد الجبل الليلة"

هب من مكانه كالملسوع، وقال لها بخوف: "ادخلى الآن إلى عقل عادل لتعلمي مكانه، بالله عليكِ أسرعي"

ردت عليه بحزن: "ليست هناك حاجة لذلك، فقد علمت أن المطاردة بدأت الآن في الجبال الغربية"

جرى صوب الباب، وهو يهتف: "استعدي لتذهبي إلى حيث هم، ولكن تأكدي من كل شيء قبل ذهابك، وأنا سأوقظ أخوتك لنلحق بكم"

ذهب الحاج إبراهيم صوب غرف أولاده الذكور ليوقظهم، في حين أخذت زينب تعد عدتها لتذهب بسرعة، حاولَتْ الوصول لعقل عادل الذي كان منهمكًا في المعركة إلى أبعد الحدود.

انطلقت زينب إلى حيث المطاردة المشؤومة لتجد رجال الحملة من الشرطة وأهل البلد في حالة يرثى لها، بينما عادل المصاب بطلق ناري في كتفه يتحامل على نفسه مصدرًا أوامره لرجاله الذين أخذوا يتساقطون كأوراق الخريف من حوله، أما الإمدادات القادمة من المديرية فلم تصل حتى الآن، في حين تحول المطاريد من حالة الفر للكر، ومن الدفاع للهجوم.

كانت حالة عادل مأساوية فإلى جانب فقده لمعظم رجاله، فقدْ فَقَدَ الكثير من دماءه، وبدأ وعيه يهرب منه عندما جاءت زينب لتحمله بجدائلها الخضراء إلى سيارات الشرطة، بإشارة منها بدأ رجال الحملة يحملون رفاقهم المصابين ويعودون حيث عادل.

ما إن رأها المطاريد حتى حاولوا الهروب بسرعة، وهم يصرخون: "السيدة الزرقاء تحارب مع الشرطة، جنية الجبل تحمى رجال الشرطة"

عادت زينب حيث المطاريد، فوقفت في منتصف السماء، ثم بدأت تدور حول نفسها بسرعة مهيجة الرمال، ومثيرة للرياح التي أخذت تشتد لتطيح بكل شيء أمامها، وصرخات المطاريد تملأ المكان، عشر دقائق

هي عمر المعركة التي اندحر فيها المطاريد، ويهرب الأحياء منهم تجاه كهوفهم.

تقدمت زينب حيث عادل الفاقد للوعي لترفعه بجدائلها، وتختفي به أمام أعين الجميع.

ما إن اختفت زينب حاملة عادل بين جدائل شعرها، حتى ظهر الحاج إبراهيم وأولاده يتقدمون رجال قرى الجبل ليساعدوا الشرطة في القضاء على المطاريد الذين أهانوا أحد أعيان قرية الجبانة غرب، لحق بهم المأمور يتبعه الإمدادات ليلقون القبض على المطاريد المدفونين في الرمال.

أخذ الحاج إبراهيم والمأمور وأبناء الأول يبحثون عن عادل دون جدوى، كانوا على وشك الجنون، تُرَى أين اختفى؟، لقد علموا من بعض رجاله أنه أصيب بطلق ناري، وفقد وعيه، غير أن أحد أبناء قرية الجبانة غرب المرافق للحملة أخبرهم بأن السيدة الزرقاء قد حملته بين جدائلها، وذهبت به بعيدًا.

نظر الحاج إبراهيم للمأمور الذي هتف: "جلال"

ثم ركضوا جميعًا تجاه الوحدة الصحية.

طرقت زينب باب الوحدة بقبضتها بقوة لتوقظ جلال، وهي تلف جدائلها حول عادل الغائب عن الوعي كالسرير، هَبَّ جلال من فراشه فزعًا، وهرول ليفتح الباب ليصعقه المشهد، لم تمهله زينب وقتًا ليندهش بل أزاحته، وتقدمت لتضع عادل على سرير الكشف، انتبه جلال لما أصاب عادل، فأخذ يركض ليحضر أدواته، وطلب من زينب تساعده، وتنفذ كل ما يأمر به، فأطاعته وساعدته على استخراج الرصاصة من كتفه، وتضميد جراحه، ثم حمله إلى غرفة جلال ليستريح.

كانت زينب تمرض عادل بكل كيانها، ولا تعي شيئًا مما يحدث سواه، حاول جلال أن يحادثها، فلم يجد منها أي استجابة، أغمضت زينب عينيها بقوة، ثم وضعت يدها على جرح عادل، وأخذت ترسل إليه بعض من الطاقة الكامنة داخلها، كانت أول مرة تقوم بفعل هذا، ولكنها تذكرت كلمات والدتها المتوفاة عن كيفية فعل ذلك، لتساعد المريض على سرعة الشفاء، ظلت زينب لمدة ربع ساعة تبعث لعادل بطاقتها الكامنة كان هذا فوق قدراتها، فأخذت تترنح، حاول جلال أن يبعدها، فأبت، وأصرت على أن تتم ما بدأته، لحظات وبدأ عادل يستعيد وعيه، ليكن أول مشهد ينطبع على شبكية عينيه هو زينب المترنحة، وهي تلمس جرحه لتبث فيها طاقة الشفاء.

هتف عادل بصوت مبحوح: "السيدة الزرقاء"

فتحت عينيها مع سماع صوته، لتتأمله بحنان، وهو يقول برقة: "عادل، حمدًا لله على سلامتك"

ثم سقطت أرضًا فاقدة للوعي، تحامل عادل ليغادر فراشه، ويساعد جلال في حملها ووضعها على الفراش الذي كان مستلقيًا عليه، خمس دقائق في عمر الدهر، ولكنها مرت عليهما كالدهر نفسه، وهما يحاولان إفاقتها، استردت وعيها وبعض قوتها، فاعتدلَتْ جالسة.

كان الصمت سيد الموقف، ولكن عينيها نفذت إلى قلب وعقل عادل من عينيه التي تعلقتا بعينيها، لقد عرفت كل شيء من البداية، وحتى الآن، بينما وقف جلال يشاهدهما فاغرًا فاه، لا يفهم ما يدور.

اهتز باب الوحدة تحت طرقات قوية، يتبعها صوت الحاج إبراهيم والمأمور يناديان على جلال، الذي ترك رفيقيه وركض تجاه الباب ليفتحه، بعد دقيقتين عاد برفقة الحاج إبراهيم، والمأمور، وأبناء الحاج الأربعة، ليجدوا عادل واقفًا بجوار فراش زينب الجالسة فوقه، أمسك جلال برأسه بين يديه بقوة شاعرًا بأنه كاد أن يجن، وقبل أن يتفوه بكلمة نظر له عادل بحدة، فصمت على مضض.

ابتدرت زينب الجميع قائلة بفرح: "إنه هو يا أبي"

اندفع الحاج إبراهيم نحو عادل ليضمه إلى صدره بشوق، وهو يغمره بالقبلات، وهو يبادله عاطفة بأخرى أشد منها، ثم التفَتَ الحاج إلى ابنته التي نكست رأسها، وقالت بحزن: "لقد توفاه الله يا أبي"

فارت الدموع من عيني الحاج بينما نكس الجميع رؤوسهم حزنًا على الفقيد، إلا جلال الذي لم يتحمل بعد الفهم، فقال بفضول: "فليرحمه الله، ولكن من هو؟ اعذروني فأنا لا أفهم شيئًا"

تنبه الجميع لوجود جلال، وكأنه نبت وسطهم من العدم، وقالت زينب عندما نظر لها والدها ببساطة: "لا ضير"

نظر له الحاج إبراهيم بحنان أبوي، وقال له: "لا بأس يا ولدي، سنقص عليك، وعلى عادل سرًا أخفيناه خمسة وعشرون عامًا على أن تعدنا بأنك لن تخبر به أحدًا"

هتف جلال بقوة: "أجل يا حاج إبراهيم، أعدك"

ابتسم الحاج وقال بهدوء: "فلنجلس يا ولدي، فلنجلس جميعًا، فهي قصة طويلة"

ثم جذبه من يده والجميع يتبعه حيث ردهة الاستقبال الممتلئة بالمقاعد، ليجلس كل منهم على واحد، بينما جلس الحاج على المقعد خلف الطاولة المتصدرة المكان.

جلس عادل على أحد المقعدين المقابلين للمكتب، بينما ترك جلال المقعد الذي كان يشغله، وجلس على المقعد الآخر، ليستمع إليه، ابتسم الحاج

بتوتر، ثم أخذ نفسًا طويلًا، وأطلقه ليخفف من وطأة ما بقلبه، ويشرع في سرد الحكاية.

بدأ الحاج قصته قائلًا: "كنت أنا ومحمد أخي ورفيقنا علي لا نكاد نفترق حتى النوم لم يكن يفرقنا، فقد كنا ننام في غرفة واحدة منذ كنا صغارًا، فعلي لم يكن صديقنا وحسب، ولكنه كان ابن عمي لذلك كان من الطبيعي أن يبيت معنا، كنت وعلي بنفس العمر، ولكن محمد كان يصغرنا بعامين، ولذلك كان دائمًا ما يسير بيني وبين علي، وعلى الرغم من أنه الأصغر إلا أنه كان أطولنا قامة، وأوسمنا"

كان يقص عليهم والبسمة تعتلي ثغره، وتشع من عينه بينما كان الجميع يتابعه بشغف، غير إنه بسمته بدأت في التلاشي، وهو يكمل: "وفي ليلة مقمرة كنا نتسامر كعادتنا خلف المنزل الكبير، وإذا فجأة ظهر شهاب كبير يشق السماء بسرعة رهيبة متوجهًا إلى أرضنا ليحرقها، ما إن شاهدنا النيران حتى ركضنا نحو حقلنا، فإذا بها قد أتت على محصول العام بكامله.

حاولنا إخماد الحريق قبل أن يمتد إلى حقول جيراننا، إلا أن الحريق كان أكبر من قدرتنا نحن الثلاثة، وبدأ يتسرب اليأس في نفوسنا، فوجدنا فتاتين ذوات بشرة شديدة الزرقة، وعيونهما بلون الدم، ومتقضتان كالجمر، وشعرهما بخضرة البرسيم، حولهما هالة ضوئية كبيرة، أمسكت الكبرى بيد الصغرى، ثم دارتا حول نفسيهما بقوة فجائية أطفأت

الحريق قبل امتداده، ما أن خمدت النيران حتى سقطت الصغرى مغشيًا عليها، التقطها أختها بجدائلها الخضراء حتى لا تسقط أرضًا.

تسمرت أنا وعلي في مكاننا من الصدمة، إلا أن محمد ركض تجاههما، ملتقطًا الأخت الصغرى من بين جدائل أختها، وحملها تجاه منزلنا، تحررنا مع ركضه، فلحقنا بهم جريًا، دخلنا غرفتنا ووضع محمد الفتاة على فراشه، وأقبلت أختها تحاول مساعدتها، وهي تشير إلينا لنتركهما ونبقى بالخارج.

ما أن خرجنا حتى قال محمد: إنها تنزف بغزارة، ألا تريان الدماء البنفسجية التي تغطي ثيابها

أجبته: كيف لك أن تراه، إن ثيابهما تشع ضوءًا باهرًا يؤذي العين؟

هز علي رأسه مؤيدًا لكلامي، حك محمد جبينه، وهو يقول: لست أدري، ولكن ما أن حملتها بين ذراعي حتى وجدت الوهج حولها يختفي، وأرى زيها بلونه الأصفر مغطى بدماء بنفسجية تنتشر سريعًا حول صدرها، يبدو أنها أصيبت جراء السقطة.

أقبلت أختها علينا مشيرة لنا بأن نعود، فأختها بحاجة لرؤيتنا، دخلنا على الأخت الصغرى، فإذا بهالتها الضوئية تخفت، بينما وقفت أختها في نهاية الحجرة لا تريد الاقتراب منها، في حين كان الصغرى تناشدها وترجوها، وهي تأبى الاقتراب، لم يحتمل محمد أن يراها هكذا، فاقترب

منها وأمسك بيدها وهي تتألم وتنازع حتى ماتت بين يديه، وكانت هذه الكارثة سبب فرقتنا"

سأله جلال بتعجب: "وكيف ذلك؟"

أجاب الشيخ إبراهيم: "لقد تخاطرت الفتاة المحتضرة مع محمد وأخبرته أنها وشقيقتها قادمتان من كوكب يدعى موري، وهما في مهمة استكشافية، لمجموعتنا الشمسية إلا أن مركبتهما الفضائية اصطدمت بمذنب، مما أخل بها فسقطت داخل حقلنا لتشتعل مع الحقل، ولقد أصيبت الفتاة دون شقيقتها، ولكن واجبهما كان يحتم عليهما إطفاء الحريق، لذلك قامت بواجبها مما زاد من خطورة إصابتها، ولقد كانت في حاجة إلى عون أختها لتشفى، غير أن أختها خائفة من أن تستنزف طاقتها الكامنة دون جدوى وتموت كليهما، لذلك تركت أختها تموت دون أن تحاول مساعدتها، وبوفاة الأخت الصغرى أصر محمد على طرد الأخت الكبرى، ولكني وعلي رفضنا ذلك، وأصرينا على حمايتها، وأحضرت لها بعضًا من ثياب زينب أختنا الصغرى، وقدمتها لأبي على أنها عروسي التي اخترتها من أحدى القبائل البعيدة، ولقد حاول أبي في البداية أن يرفض غير أن عليًا استطاع أن يقنعه في النهاية، لم يتحمل محمد قيامي بذلك، فترك القرية ورحل، وبحثنا عنه أنا وعلي دون جدوى"

اعتدَلَ عادل، وقال: "لم يحتمل أبي أن يرى قاتلة أختها أمام عينيه كل يوم، لقد أطلعني أبي على سره قبيل وفاته، وطلب مني العودة إليكم، حيث لم يعد لي سواكم بعد وفاة والداي، ولأخبركم أنه اشتاق إليكم كثيرًا، لقد كانت حياته بعيدًا عنكم في منتهى القسوة"

بكى الجميع، بينما قالت زينب من بين دموعها: "لقد عاشت أمي طوال عمرها تتمنى الموت لأنها تركت خوفها يتغلب على مشاعر الأخوة، لقد قتلها حزنها على أختها، وقبل وفاتها أخبرتني بكيفية القيام بضخ الطاقة الكامنة للمساعدة على الشفاء، وأمرتني أن استخدمها عند الحاجة، ولقد فعلتها لأنقذك يا عادل"

التفَتَ إليها الجميع، فهزت رأسها، وهي تقول بأسى: "لقد ماتت أمي وهي تحاول مساعدة عمتي زينب، وهي تتمنى أن تسامحها أختها تشيبي، ولم يقتلها خبر استشهاد أخي محمد كما ظن الجميع"

دخل عادل بصحبة جلال إلى المنزل الكبير بعد أن أوصلا طبيب الوحدة الجديد إلى محل إقامته، ليودع الثاني الجميع قبل سفره إلى الإسكندرية بعد أن أنهى تكليفه بوحدتهم، استقبله الحاج إبراهيم بالترحاب، وسلم جلال على أبناء الحاج وأولادهم، وهو ينظر إلى عادل بنظرة ذات مغزى، فضحك عادل، وهو يغمز لجلال.

وقف المأمور يشد على يد جلال، وهو يودعه قائلًا: "لقد كنت أفضل أطباء الوحدة الذين قدموا إلى هنا، تمنياتي لك بالتوفيق، لا تنسَنا"

هز جلال رأسه شاكرًا، وهو يقول: "كيف أنسى أهلى يا سيادة المأمور!، ولكن عندي سؤال، واعذر فضولي، لِمَ قدمت إلى هنا ولم تعد إلى بلدك؟"

أجابه المأمور: "لقد مات صديقي محمد وهو يحميني من رصاصة غادرة، وأوصاني بوالديه وأخوته وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، لذلك عدت إلى بلدي، وحملت زوجتي وأبنائي واستقرينا هنا لأنفذ وصيته"

ابتسم جلال، واطرق باحترام، ناداه الحاج إبراهيم ليضمه لصدره مرة آخرى وهو يقول بحزن: "كيف لا يمكنك أن تظل معنا دائمًا يا جلال، إن فراقك مُرٌّ"

انكفأ جلال على كفي الحاج يقبلهما، ثم يقبل رأسه، وهو يقول: "ليتني أستطيع، ولكني في حاجة لأن أعود إلى أهلي فقد اشتقت إليهم، وأعدك

يا حاج أن أزوركم كل عام، وأن أقضي أجازتي السنوية هنا، كما أن عادل سوف يزورني بالإسكندرية كما اتفقنا"

قال عادل بحماس: "بالطبع، سأزورك وأطمئن عليك، فأنت أخي"

تقدم صميدة، وقال: "أن السيارة جاهزة"

أخذوا يتصافحون، والحاج إبراهيم يسأل أولاده: "هل وضعتم حاجيات جلال التي أعددناها له بالسيارة؟"

فأجابوه بنعم، شكر جلال الحاج إبراهيم على كرمه، بينما ضمه الحاج إلى صدره قائلًا: "أنت ولدي، وهذه هدية بسيطة إلى أهلك"

تقدم عادل مصطحبًا جلال إلى السيارة، ثم تنحى به جانبًا، وقال له بجدية: "عليك أن تنتبه في هذه الرحلة، ولا تتشاجر مع الذباب، فالسيدة الزرقاء لن تستطيع مساعدتك"

ضحكا بقلب صافٍ، ثم قال جلال بصوت مفخم: "أجل فهي تنتظر مولودًا جميلًا يشبهك يا عادل"

ضربه عادل على كتفه بقبضته، وهو يقول بغيظ: "وأنت لا تريد أن تنتظر أن ترى ولي العهد يا جلال، يا لك من نذل"

أمسك جلال بقبضة عادل، وهو يقول: "كلا بالطبع، ولكني في شوق لأمي، ولمخطوبتي فاطمة، لقد اقترب موعد العرس، ولم ينتهِ تجهيز عش الزوجية"

فتح عادل باب السيارة لجلال، وقال له: "لا تنسَ أن تدعوني لحفل الزفاف"

رد جلال مستنكرًا، وهو يجلس على المقعد المجاور لصميدة والذي جلس عليه لأول مرة منذ عامين وهو كاره، أما الآن فقد تغيرت مشاعره: "بالله عليك، كيف أتزوج بدون أخي!"

وقبل أن يتحرك صميدة بالسيارة وجدوا خادمة المنزل تركض في تجاه السيارة، وهي تنادي على سيدها، وعلي الطبيب، ترجل جلال وذهب مع عادل لملاقاتها، فقالت لهم من بين أنفاسها المتقطعة: "إن سيدتي زينب قد فاجأتها آلام المخاض"

ركضا نحو المنزل يتبعهما الجميع، وجلال يصرخ في الخادمة لتأتيه بأدواته، وما يحتاج إليه، ثم التفَتَ نحو عادل وهو يضحك قائلًا: "أرى أنه كُتِبَ لي أن أرى ولدك قبل سفري"

ضحك عادل، وهو يقول" يبدو أن ولي عهدي أبى أن يولد على يد أحد آخَر غير عمه"

ضحكوا جميعا، غير أن صرخات زينب المتألمة قطعتها، فدخل جلال مع الخادمة ليساعدا الأم، تاركًا عادل مع رجال المنزل واقفين أمام الباب يدعون الله بالذرية الصالحة والخلقة السليمة.

فتح الباب وخرجت فرح ومن خلفها مصطفى يضحكان بصفاء، ومصطفى يقول لفرح: "كانت مغامرة جميلة، لم أكن أتخيل أني سأقوم بدور ضابط شرطة"

ضحكت فرح، وهي ترد: "كوني من أم فضائية ذات قدرات خاصة كانت مبهجة جدا"

قاطعتهما أجاثا بتحفظ انجليزي: "يبدو أنها كانت مغامرة ممتعة"

أجابتها فرح بسعادة: "بالطبع يكفي أنها بصحبة زوجي"

هز مصطفى رأسه مؤيدًا، ثم عدل من هندامه، وهو يقول: "هيا يا فرح يجب أن نعود إلى حياتنا"

ابتسمت فرح، وهزت رأسها موافقة، ثم أمسكت يده وتحركا خلف أجاثا متوجهين خارج القصر، عند عتب القصر جرت فيروزة، وقفزت لتضمها فرح بحب، وتداعب أذنيها بحنان، انضمت جلاديس لهم عند الحديقة لتودعهما.

عند بوابة القصر كانت الشمس تشرق من بين قضبان الباب الحديدية، فابتسمت فرح، وأشارَتْ لها بسعادة، فتح مصطفى الباب، والتفَتَ إلى فرح، وغمز بعينه، فردت له الغمزة، ثم ودعت أجاثا وجلاديس، وقفزت فيروزة نحو كتف أجاثا.

سألت فرح أجاثا: "وداعًا يا سيدتي، هل هذا الوداع حقًا، أم أن لنا لقاءً قريبًا؟"

صرخ مصطفى: "لا أعادك الله إلى تلك الغيبوبة اللعينة، وأنعم عليكِ بالصحة"

ابتسمت أجاثا، ثم قالت: "يمكننا أن نلتقي في عالم الأحلام بلا وسيط، وبدون غيبوبة لعينة، ولكن ربما كنت وقتها انتظرك خلف الباب، ولست مرشدتك"

ابتسمت فرح لها، وقالت لمصطفى وهي تتصنع الضيق: "كفاك إضاعة للوقت، يجب أن نعود"

ضحك مصطفى، ثم شكر أجاثا على مساعدتها، وعبر الباب برفقة زوجته.

-" فرح.. استيقظي يا بنيتي.. لقد نمتِ كثيرًا، لقد اقترَبَ الظهر"

فتحت فرح جفنيها، فانعكست صورة والدتها على شبكية عينيها، فضحكت، وقفزت من فراشها، متعلقة برقبة أمها لتقبل خديها، ثم قالت: "لقد حلمت حلمًا غريبًا يا أمي، لقد كنت في قصر في ضيافة كاتبة الروايات البوليسية أجاثا كريستي، و.."

أعطتها أمها قبلة حانية على جبهتها، ثم قالت: "سأستمع لهذا الحلم الغريب، ونحن نتناول الإفطار، هيا فلتغسلي وجهك، ولتلحقي بي في المطبخ"

خرجت الأم، وتركت فرح تتأمل نفسها أمام المرآة المجاورة لسريرها، ها هي فتاة ذات ستة عشر ربيعًا بيضاء البشرة، سوداء الشعر والعينين، فارعة الطول، وممشوقة القوام.

نادتها أمها، فركضت نحو الحمام لتغتسل، فهي متلهفة لتقص على والدتها حلمها الطويل.

السيرة الذاتية

- الاسم: صفاء حسين محمود عبدالله العجماوي

- الجنسية: مصرية

- مواليد: ٦ أغسطس ١٩٨٥

- حاصلة على:

* بكالوريوس علوم جامعة القاهرة (كيمياء/فيزياء) مايو ٢٠٠٦ (تقدير جيد جدًا)

* تمهيدي ماجستير فيزياء نووية جامعة القاهرة ٢٠١٠ (تقدير امتياز)

* دبلومة دراسات عليا إسلامية مايو ٢٠١٤ (تقدير امتياز)

*دبلومة ترميم عام بكلية الأثار جامعة القاهرة مايو ٢٠١٩ (تقدير امتياز)

-تدرس:

*تمهيدي ماجستير ترميم الأثار جامعة القاهرة

- عملت في:

* المركز القومى للبحوث (مجموعة النانوتكنولوجى) من ٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٨

* حاليا باحث كيميائي في قطاع الهندسة الإذاعية باتحاد الإذاعة والتلفزيون من ٢٠٠٩ (إدارة التكييف المركزي حتى ٢٠١٤ -إدارة شؤون المقر حتى ٢٠١٦-مركز بحوث الهرم منذ ٢٠١٦)

* المدير التنفيذى لدار نشر حروف منثورة للنشر الإلكترونى سابقًا

*رئيس قسم الاستطلاع بمجلة الحرافيش الإلكترونية سابقًا

- نشرت لى:

* قصة بعنوان "رحلة داخل الثقب القافز" في مجلة العلم (التابعة لأكاديمية البحث العلمي) عدد ديسمبر ٢٠١٣

* قصة بعنوان " الوشم المقدس" في مجلة العلم (التابعة لأكاديمية البحث العلمي) عدد أغسطس ٢٠١٤

* قصة بعنوان "ثورة على الكلمات" في مسابقة دار ضاد للقصة القصيرة ٢٠١٥

* همسات من الخيال (مجموعة قصصية) مع دار ضاد للنشر والتوزيع والترجمة في سبتمبر ٢٠١٥، تم إعادة طبعها كطبعة الثانية مع دار الراية في معرض القاهرة ٢٠١٧.

* كتاب بعنوان بعثرة كلمات (خواطر خفيفة) مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني في سبتمبر ٢٠١٥

* قصة "وتوقفت الحياة " في جريدة التحرير الجزائرية عدد ١٩ أكتوبر ٢٠١٥ والتي أعيدَ نشرها في العديد من المواقع العربية مثل المغرب اليوم و العرب اليوم والمجلات الإلكترونية

*العديد من الخواطر في مجلات إلكترونية عربية في ٢٠١٥

* مقال بعنوان "عندما يبدع القلم " بالعدد التجريبي لمجلة أدباء ٢٠٠٠ في نوفمبر ٢٠١٥

* كتاب خواطر بعنوان " عنك أتحدث " مع دار أدباء ٢٠٠٠ للنشر الإلكتروني في نوفمبر ٢٠١٥، وتم إعادة نشره كطبعة ثانية مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني في يناير ٢٠١٦.

* مجموعة قصصية بعنوان "من وحى القلم" مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني في نوفمبر ٢٠١٥

* كتاب خواطر بعنوان "فيك حروفى" مع دار أدباء ٢٠٠٠ للنشر الإلكتروني في نوفمبر ٢٠١٥، وتم إعادة نشره كطبعة ثانية مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني في يناير ٢٠١٦.

* كتاب جماعي للقصة القصيرة بعنوان "حواديت" مع كتاب دار ضاد في معرض الكتاب ٢٠١٦

*كتاب جماعي للقصة القصيرة بعنوان "عندما يبتسم الجحيم" نشر إلكترونيًا مع دار حروف منثورة للنشر الإلكترونى ٢٠١٦

* كتاب جماعي للقصة القصيرة بعنوان "حكايات ممنوعة من النشر" مع دار يوتوبيا في معرض الكتاب ٢٠١٦

* كتاب بخواطر بعنوان "فى غيابك" مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني في فبراير ٢٠١٦

* مجموعة من القصص القصيرة جدا بعنوان "مايكروفيكشن" مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني في مارس ٢٠١٦

* نشر مجموعة من المقالات والقصص القصيرة والقصائد بمجلة الحرافيش الإلكترونية مايو ٢٠١٦

* كتاب "حواري مع" مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني في مايو ٢٠١٦

* كتاب "مقال ع السريع" مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني في مايو ٢٠١٦، وهو لمجموع مقالاتى على مجلة الحرافيش الإلكترونية

* رواية "نكهات صوفيا" يوليو ٢٠١٦ مع دار الميدان، والنسخة الإلكترونية مع دار حروف منثورة ٢٠١٨

* المجموعة القصصية "يحكي أن" يوليو ٢٠١٦ مع دار المحرر الأدبي، تم إعادة طبعها مع دار حرف في معرض القاهرة ٢٠١٧ كطبعة ثانية، والنسخة الإلكترونية مع دار حروف منثورة ٢٠١٨

*رواية بعنوان " صفحات من خلف الجدار "دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني ٢٠١٦. (القائمة الطويلة بجائزة منف)... تم طباعتها بنظام تحت الطلب سوق دوت كوم ٢٠١٨

*المجموعة القصصية "رسالة لن ترسل أبداً" مع دار حرف معرض القاهرة ٢٠١٧، و النسخة الإلكترونية مع دار حروف منثورة ٢٠١٨

*الرواية الجماعية "قطار الرعب" فكرتي وإعدادي، دار الميدان معرض القاهرة ٢٠١٧

*رواية بعنوان "آدم" دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني ٢٠١٧... تمت طباعتها بنظام تحت الطلب سوق دوت كوم ٢٠١٨

*ديوان "شتات" دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني ٢٠١٧.. الطبعة الورقية مع ذات الدار في ٢٠١٩

*كتاب ساخر جماعي فكرتي وإعدادي "كاتبات في المطبخ" مع العديد من كاتبات الوطن العربي دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني ٢٠١٧.. الطبعة الورقية مع دار المثقفون العرب معرض كتاب الشيخ زايد للكتاب ٢٠١٩

*كتاب "ريفيوهاتي" دار المغارة للنشر الإلكتروني ٢٠١٧، أعيد نشره مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني كطبعة ثانية يوليو ٢٠١٨.

*قصة طويلة "رادوبي" دار المغارة للنشر الإلكتروني ٢٠١٧

*قصة طويلة "قرين" دار المغارة للنشر الإلكتروني ٢٠١٧

*قصة طويلة "محطة الحافلات" دار المغارة للنشر الإلكتروني ٢٠١٧

*قصة طويلة "ليلة العمر" دار المغارة للنشر الإلكتروني ٢٠١٧

*رواية بعنوان "شطرنج" دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني ٢٠١٧، (القائمة الطويلة بجائزة منف) ... تم طباعتها بنظام تحت الطلب سوق دوت كوم ٢٠١٨، أعيد نشره مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني كطبعة ثانية يوليو ٢٠١٨.

*قصة طويلة "فيما يرى النائم" دار حروف منثورة ٢٠١٧

*كتاب خواطر "يا عزيزى" دار حروف منثورة ٢٠١٧

*المجموعة القصصية "بلا أسماء" دار بدائل معرض القاهرة كتاب ٢٠١٨

*رواية "جريمة المصعد" دار بدائل معرض القاهرة كتاب ٢٠١٨

* "الأبواب الثلاثة" دار ق معرض القاهرة ٢٠١٨

*رواية "عودة راسبوتين" دار الميدان معرض القاهرة ٢٠١٨

*ديوان "إليك أنت" مع دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني أغسطس ٢٠١٨.. النسخة الورقية مع ذات الدار ٢٠١٩

*المجموعة القصصية "شذرات" مع دار المثقفون العرب معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٩

*كتاب ساخر "كاتبات في المطبخ" مع دار المثقفون العرب معرض الأسكندرية ٢٠١٩

*** أعمال تحت الكتابة:**

*** رواية بعنوان "في ضيافة أجاثا"**

*** رواية بعنوان "أرض التنانين"**

***رواية بعنوان"عودة النترو"**

***رواية بعنوان "قيود واهنة"**

*** رواية بعنوان "في محراب عينيك"**

***كتاب بعنوان "الجمال في العلم"**

***كتاب بعنوان "لمحات من ترميم الآثار"**

ـأعمال تحت الطبع:

***كتاب "طرق التنظيف المتبعة في المباني المشيدة من الحجر الجيري في مصر القديمة"**

ـ طرق التواصل:

١ https://www.facebook.com/quark.lepton على الفيس بوك

---

[١] *ا* ابنة النتر رع رمز الشمس الظهيرة عند قدماء المصريين. كانت مدينة بوباستيس (تل بسطة) مركز عبادتها، ويرمز لها بقطة التي

كانت تصورها الرسومات على شكل امرأة لها رأس قطة، لذا تُعتبر "باستيت" ربة الحنان والوداعة، فقد ارتبطت بالمرأة ارتباطاً وثيقاً، كما كانت تمثل الخصوبة والحب والحنان وحامية المرأة الحامل، أدمجت مع النترت سخمت في الدولة الحديثة، حيث تمثل سخمت في هيئة اللبؤة المفترسة، فعندما تغضب باستيت تصبح سخمت، وتنتقم من الأعداء ومن هو ذو خلق رديء

ب المصريين القدماء.. نسبة لأحد أشهر أسماء مصر القديمة "كيميت أو كمة"

[٢]* هي الحرب التي قامت بين العراق وإيران لمدة ثمان سنوات، ولم يسفر عنها شيء سوى الخراب والدمار لكلا البلدين.

[٣] * من أشهر أنواع الجبن الإنجليزية الشيدر و stilton الأزرق، وقد استوحى الجبن الشيدر اسمه من كهوف Cheddar Gorge التي كان يتم تخزينها بها في غرب البلاد، وعادة ما يتم تناوله في ساندوتش أو مشوى على التوست في السلطات أو كساندوتش تشاتني أي صغير الحجم يتناول مع الشاي أو المشروبات في الحانات، أما الجبن الأزرق فيتم تناوله بعد الوجبات عادة وهو يصنع في شمال إنجلترا

[٤] *الفاينس المصري القديم أو ما يعرف بالقيشاني(بالإنجليزية: Egyptian faience): هو عبارة عن مسحوق كوارتز مزجج (طلية زجاجية قلوية مضاف إليها اللون غالبًا)، وبذلك فهو مكون من سليكات

الكالسيوم والصوديوم او سيلكات الكالسيوم والبوتاسيوم كانت ألوانه ما بين الأزرق والأخضر، امتد تاريخه من عصور ما قبل الأسرات وحتى القرن الرابع عشر الميلادي، ولقد استخدم في صناعة تماثيل الأوشابتي والتي تصحب الميت للعالم الأخر للقيام بأدوار خدمية للميت تبعًا للعقيدة المصرية القديمة، كما استخدم في صناعة الحلى والتمائم والميداليات والبلاطات، أقدم قيشاني مغطى بطبقة تزجيج قلوية خضراء وجد في مقبرة مينا (٣٣٠٠ ق.م)

[٥] * الألماس (diamond)، واسمه باليونانية ادامو بمعنى الصلابة، هو حجر كريم مكون من الكربون فقط وهو له نفس التركيب الكيميائي للجرافيت إلا أن الاختلاف في التركيب البلوري هو السبب، وهو يتميز بأنه على قمة مقياس موه للصلادة (١٠) أي غير قابل للخدش، ويميز بألوانه العديدة منها الشفاف، والأبيض والوردي والبنفسجي، والأصفر ورمادي وبني وأزرق وأخضر وأحمر، وهو شديد اللمعان غير أن مخدشه عديم اللون، وأكثر ما يميزه هو قدرة الفائقة على تشتيت الضوء، من استخداماته أيضًا خلاف الزينة هو استعماله كرؤوس حفر للآلات التي تعمل في حفر آبار البترول والغاز الطبيعي، ويستخدم في الأجهزة الإلكترونية والطبية والمعدات الصناعية، وفي قص الزجاج.

[٦] مسلسل مرايا سوري كوميدي ناقد متعدد الأجزاء، عرض لأول مرة في ١٩٨٢م، من بطولة ياسر العظمة وقد حقق نجاحًا باهرًا، ولقد تناول

عشرات القصص والحكايا بأسلوب كوميدي ساخر جميل ولقد حقق نجاحًا عربيًا ليس له مثيل، حتى أنه احتل صدارة قائمة المسلسلات الكوميدية العربية الأعلى مشاهدة، فمنذ انطلاقه وحتى الآن لم يتوقف عرض حلقاته على الفضائيات العربية، ولذلك نهجت كثير من المسلسلات نهجه مثل مسلسل بقعة ضوء، ولقد شارك به كوكبة من النجوم السوريين، كما أنه كان سببًا في اكتشاف العديد منهم مثل كريس بشار وعابد فهد وباسل خياط وقصي خولي وسلافة معمار وغيرهم، آخر أجزاءهم عرضًا مرايا ٢٠١٣، ولقد أعلنت الصحف عن مرايا ٢٠٢٠ بإنتاج إماراتي.

قم بتنزيل برنامج QR CODE Scanner من Play Store لقراءة الأكواد

ضيف هاتف الدار على موبايلك مباشرة

لزيارة موقع الدار

لزيارة صفحة الدار

للتواصل مع الدار واتس آب

مجلة الدار لإصداراتها الورقية

يسلط الضوء على واقع اليمن الحاضر- بما يحوطه من ظروف وعوامل داخلية وخارجية، بعد الثورة الشعبية ـ النسخة اليمنية من الربيع العربي - والمرحلة الانتقالية التي أعقبتها، وفقاً لاتفاقية الانتقال السلمي للسلطة المعروفة باسم (المبادرة الخليجية)، التي حظيت بدعم ورعاية المجتمع الدولي، وانتظمت في إطارها عملية الانتقال السياسي في اليمن، قبل أن تنتكس بسبب الانقلاب المسلح، وما قاد إليه من حرب شاملة، لاتزال اليمن تعيش في جحيمها منذ نحو 5 سنوات.